جامعة قطر

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

التناسق الموضوعي لآيات الولاء والبراء في القرآن

إعداد

بنان وليد السر

قُدِمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

للحصول على درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن

يناير 2022م/ 1443هـ

© 2022م. بنان وليد السر. جميع الحقوق محفوظة.

لجنة المناقشة

استُعرضت الرسالة المقدّمة من الطالبة بنان وليد السر بتاريخ 2021/11/10، وَوُفِق عليها كما هو آتٍ:

نحن أعضاء اللجنة المذكورة أدناه، وافقنا على قبول رسالة الطالبة المذكور اسمها أعلاه. وحسب معلومات اللجنة فإن هذه الرسالة تتوافق مع متطلبات جامعة قطر، ونحن نوافق على أن تكون جزءًا من امتحان الطالبة.

أ.د محمد المجالي/ مشرفا ومقررا

المشرف على الرسالة

د. محمد إقبال

مناقش

د. فاطمة النعيمي

مناقش

تمّت الموافقة:

الدكتور إبراهيم عبد الله الأنصاري، عميد كلّيّة الشريعة والدراسات الإسلامية

المُلخَّص

بنان وليد السر، ماجستير في التفسير وعلوم القرآن

يناير 2022م.

العنوان: التناسق الموضوعي لآيات الولاء والبراء في القرآن

المشرف على الرسالة: الأستاذ الدكتور محمد خازر المجالي

تدور هذه الدراسة حول التناسق الموضوعي لآيات الولاء والبراء في القرآن، وتكمن أهمية الدراسة في أنها تسهم في بيان شيء من الإعجاز في النظم القرآني وترتيب سوره وتناسق آياته.

وقد اقتضت طبيعة الدراسة التركيز على آيات الولاء والبراء في السور المدنية، كون الآيات تطرقت إلى الموضوع بشيء من التفصيل، وذلك ببيان تناسقها وانسجامها مع الوحدة الموضوعية للسورة التي جاءت فيها واسمها، والسياق الذي وردت فيه. أما آيات الولاء والبراء في السور المكية فقد تمت دراستها بشكل مختصر، يراعي النقاط السابقة. ثم ختمت الدراسة بإلقاء الضوء على تكامل آيات الولاء والبراء في القرآن، وبيان قوة ارتباط الموضوع بموضوعات القرآن عمومًا، وموضوعات العقيدة والأخلاق على وجه التخصيص.

واتبعت في الدراسة المنهجين: الاستقرائي والاستنباطي، وقسمت الرسالة إلى خمسة فصول بما يتناسب مع عدد السور التي تناولت الموضوع.

وخلصت الدراسة إلى نتائج أهمها: أن موضوعات القرآن الكريم متناسقة مع مواضع ورودها في القرآن، ومنها موضوع الولاء والبراء، وشدة ارتباطها بسياقاتها والوحدة الموضوعية للسور التي جاءت فيها، وأن هناك تكاملاً في طرح الموضوع وبين السور التي ورد فيها، لاسيما مع الموضوعات الرئيسة الأخرى ذات العلاقة.

ABSTRACT

Banan Walid Al-Sir, MA in Qur'an and Qur'anic Sciences

January 2022.

Title: Thematic consistency of the verses of loyalty and disavowal in the Qur'an

Supervisor: Prof. Dr. Muhammad Khazer Al-Majali

In this study, we studied the thematic consistency of the verses of loyalty and disavowal in the Qur’an. The importance of the study is its contribution in highlighting some of the Qur’an system, arrangement of its chapters and the consistency of its verses.

The study focuses mainly on the verses of loyalty and disavowal in the Madani chapters, which are very detailed in the topic of loyalty and disavowal. We showed their proportionality and consistency with the subject of the chapter in which it came, its name, and the context of the verse; whereas the Meccan chapters were studied, but with less detail.

The study was conducted following two main approaches: the inductive and the deductive approach. It includes five chapters in proportion to the number of the verses that deal with the subject of interest.

Finally, the paper came to some conclusions: the Quranic subjects are consistent with their occurrence in the Quran, including the theme of loyalty and disavowal, the strong relation of these verses with their chapters, and the consistency between the verse and the chapter it came in, especially with the other themes in the chapter.

شكر وتقدير

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، اللهم لك الحمد أن وفقتني لإتمام هذا البحث المتواضع.

وأتقدم بعظيم الامتنان والعرفان لوالدي العزيزين اللذين كانا مصدر التشجيع والدعم خلال مسيرتي الدراسية.

وأتوجه بوافر الشكر والتقدير إلى فضيلة الأستاذ الدكتور محمد المجالي العميد المساعد لشؤون البحث والدراسات العليا في كليه الشريعة، على تكرمه بالإشراف على الرسالة ومتابعة إنجازها في كل مراحلها، وما تكرم به من توجيه وإرشاد وتصويبات، فجزاه الله خير الجزاء.

كما أتقدم بالشكر الجزيل لأساتذتي الذين تتلمذت على أيديهم، وأخص بالشكر الأستاذ الدكتور أحمد خالد شكري، والأستاذ الدكتور عبد الله الخطيب.

كما أشكر لجنة المناقشة الدكتور محمد إقبال والدكتورة فاطمة النعيمي على تكرمهم بقراءة الرسالة وعلى ملاحظاتهم القيمة.

والشكر موصول إلى عميد كليه الشريعة والدراسات الإسلامية: الدكتور إبراهيم الأنصاري، ومنسق البرنامج: الأستاذ الدكتور أحمد خالد شكري، ورئيس القسم: الأستاذ الدكتور عبد الجبار سعيد، والكادر الإداري والهيئة التدريسية على جهودهم الجليلة.

فهرس المحتويات

شكر وتقدير..... هـ

المقدّمة 1

التمهيد: التعريف بالمصطلحات والمنهج المتبع في دراسة التناسق الموضوعي..... 9

الفصل الأول: التناسق الموضوعي لآيات الولاء والبراء في السور المكية.....19

المبحث الأول: التناسق الموضوعي لآيات الولاء والبراء في سور الأنعام والأعراف ويونس وهود 21

المبحث الثاني: التناسق الموضوعي لآيات الولاء والبراء في سور 32

يوسف والرعد والنحل والإسراء والكهف ومريم والحج 32

المبحث الثالث: التناسق الموضوعي لآيات الولاء والبراء في سور الفرقان، الشعراء، العنكبوت، السجدة، سبأ، الزمر، فصلت، الشورى، الدخان، الجاثية، الأحقاف، الكافرون ..43

الفصل الثاني: التناسق الموضوعي لآيات الولاء والبراء في سور البقرة وآل عمران والنساء 58

المبحث الأول: التناسق الموضوعي لآيات الولاء والبراء في سورة البقرة.....59

المطلب الأول: مدخل إلى سورة البقرة: 59

المطلب الثاني: التناسق بين آيات الولاء والبراء في سورة البقرة، وبين الوحدة الموضوعية للسورة واسمها: 61

المطلب الثالث: التناسق بين آيات الولاء والبراء في سورة البقرة، والسياق الذي جاءت فيه.....63
المبحث الثاني: التناسق الموضوعي لآيات الولاء والبراء في سورة آل عمران.....72
المطلب الأول: مدخل إلى سورة آل عمران:.....72
المطلب الثاني: التناسق بين آيات الولاء والبراء في سورة آل عمران، وبين الوحدة الموضوعية للسورة واسمها: 74
المطلب الثالث: التناسق بين آيات الولاء والبراء في سورة آل عمران، والسياق الذي جاءت فيه:.....77
المبحث الثالث: التناسق الموضوعي لآيات الولاء والبراء في سورة النساء 93
المطلب الأول: مدخل إلى سورة النساء.....93
المطلب الثاني: التناسق بين آيات الولاء والبراء في سورة النساء وبين الوحدة الموضوعية للسورة واسمها: 95
المطلب الثالث: التناسق بين آيات الولاء والبراء في سورة النساء وبين السياق الذي جاءت فيه.....97
الفصل الثالث: التناسق الموضوعي لآيات الولاء والبراء في سور المائدة والأنفال والتوبة 105
المبحث الأول: التناسق الموضوعي لآيات الولاء والبراء في سورة المائدة 106
المطلب الأول: مدخل إلى سورة المائدة: 106

المطلب الثاني: التناسق بين آيات الولاء والبراء في سورة المائدة، وبين الوحدة الموضوعية للسورة واسمها: 108
المطلب الثالث: التناسق بين آيات الولاء والبراء في سورة المائدة، والسياق الذي جاءت فيه 110
المبحث الثاني: التناسق الموضوعي لآيات الولاء والبراء في سورة الأنفال..... 116
المطلب الأول: مدخل إلى سورة الأنفال:..... 116
المطلب الثاني: التناسق بين آيات الولاء والبراء في سورة الأنفال، وبين الوحدة الموضوعية للسورة واسمها: 118
المطلب الثالث: التناسق بين آيات الولاء والبراء في سورة الأنفال، وبين السياق الذي جاءت فيها: 119
المبحث الثالث: التناسق الموضوعي لآيات الولاء والبراء في سورة التوبة 123
المطلب الأول: مدخل إلى سورة التوبة: 123
المطلب الثاني: التناسق بين الوحدة الموضوعية للسورة، وبين مقاطع السورة:.... 125
الفصل الرابع: التناسق الموضوعي لآيات الولاء والبراء في سور المجادلة والحشر والممتحنة 136
المبحث الأول: التناسق الموضوعي لآيات الولاء والبراء في سورة المجادلة 137
المطلب الأول: مدخل إلى سورة المجادلة:..... 137
المطلب الثاني: التناسق بين آيات الولاء والبراء في سورة المجادلة، وبين الوحدة الموضوعية للسورة واسمها: 139

المطلب الثالث: التناسق بين آيات الولاء والبراء في سورة المجادلة، وبين السياق الذي جاءت فيه: 139
المبحث الثاني: التناسق الموضوعي لآيات الولاء والبراء في سورة الحشر 143
المطلب الأول: مدخل إلى سورة الحشر 143
المطلب الثاني: التناسق بين آيات الولاء والبراء في سورة الحشر، وبين الوحدة الموضوعية للسورة واسمها: 145
المطلب الثالث: التناسق بين آيات الولاء والبراء في سورة الحشر، والسياق الذي جاءت فيه: 145
المبحث الثالث: التناسق الموضوعي لآيات الولاء والبراء في سورة الممتحنة 149
المطلب الأول: مدخل إلى سورة الممتحنة: 149
المطلب الثاني: التناسق بين الوحدة الموضوعية للسورة، وبين آيات الولاء والبراء فيها 151
الفصل الخامس: تناسق آيات الولاء والبراء مع جزئيات العقيدة والأخلاق 164
المبحث الأول: مرتبة آيات الولاء والبراء في القرآن 165
المبحث الثاني: تناسق آيات الولاء والبراء مع جزئيات العقيدة 167
المطلب الأول: الجانب التأصيلي: 167
المطلب الثاني: الجانب التطبيقي والوقائي لعقيدة الولاء والبراء: 170
المبحث الثالث: تناسق آيات الولاء والبراء مع جزئيات الأخلاق 174
المطلب الأول: دعوة آيات الولاء والبراء إلى الإصلاح الفردي: 175

المطلب الثاني: دعوة آيات الولاء والبراء إلى الإصلاح المجتمعي: 178

الخاتمة 180

قائمة المصادر والمراجع 183

المقدّمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

من الموضوعات القرآنية الجديرة بالدراسة، تلك المتعلقة بالسياق والوحدة الموضوعية، وجزء منها يتعلق بدراسة تناسق موضوع ما مع الموضوعات الأخرى للسورة التي وردت فيها، ومن هنا جاءت فكرة البحث "التناسق الموضوعي لآيات الولاء والبراء في القرآن"، فقد تعددت السور التي ورد فيها موضوع الولاء والبراء، ومعلوم أن لكل سورة شخصيتها وموضوعها الرئيس، فجاءت آيات الولاء والبراء منسجمة متسقة مع السورة التي جاءت فيها ووحدتها الموضوعية.

وتقوم هذه الدراسة على خطوات منهجية اتخذتها الباحثة لبيان التناسق الموضوعي لآيات الولاء والبراء في السور التي وردت فيها، وذلك ببيان التناسق وقوة الارتباط بين الوحدة الموضوعية للسورة واسمها، ثم ربط هذا التناسق بآيات الولاء والبراء في السورة التي وردت فيها، ثم دراسة تلك الآيات ضمن السياق الذي جاءت فيه وبيان كيف تناسقت الآيات مع الموضوعات المتعددة في السورة الواحدة، ثم ختمت الدراسة ببيان تكامل آيات الولاء والبراء في القرآن كله، وبيان قوة ارتباط الموضوع بموضوعات القرآن عمومًا، وموضوعات العقيدة والأخلاق على وجه التخصيص.

إشكالية البحث وأسئلته:

تنطلق هذه الدراسة من سؤال محوري في البحث: كيف يمكن دراسة التناسق الموضوعي لآيات الولاء والبراء في القرآن مع تعدد السور التي تناولت هذا الموضوع وتنوع موضوعاتها؟ ويندرج تحت هذا السؤال عدة أسئلة:

1. كيف يمكن دراسة التناسق الموضوعي لآيات الولاء والبراء مع تعدد السور التي تناولت الموضوع، ومع تعدد مواضع ذكرها في السورة الواحدة؟
2. ما وجه التناسق بين آيات الولاء والبراء والوحدة الموضوعية للسورة واسمها؟
3. كيف تناسقت آيات الولاء والبراء مع السياق الذي جاءت فيه، وما أهم الموضوعات التي ارتبط بها موضوع الولاء والبراء؟
4. ما أهم التطبيقات العملية التي تناولتها آيات الولاء والبراء في السور المكية والمدنية؟

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى بيان التناسق الموضوعي لآيات الولاء والبراء وذلك من خلال الخطوات التالية:

1. بيان موقع آيات الولاء والبراء في السور التي تناولت الموضوع.
2. بيان انسجامها وتناسقها مع الوحدة الموضوعية للسورة واسمها والسياق الذي جاءت فيه.
3. بيان تكامل آيات الولاء والبراء وذلك من جانبين:

أ. الجانب الأول: بيان تكامل الآيات في عرض موضوع الولاء والبراء وكيف أعطت نظرة شمولية للموضوع مع تعدد المواضع في السورة الواحدة، ومع تنوع السور التي تناولت الموضوع.

ب. الجانب الثاني: فيهدف إلى بيان تكامل الآيات مع موضوعات القرآن عمومًا، ومع موضوع العقيدة والأخلاق، وبيان مدى ارتباط هذه الموضوعات مع موضوع الولاء والبراء، مما يكشف عن روعة النظم القرآني.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في أهمية الموضوع الذي يتناوله، وهو مسألة الولاء والبراء، وارتباطها بأهم قضية في الإسلام وهي قضية الإيمان بالله، فلكي يكون الإيمان بالله سليماً خالياً من الشوائب ينبغي على المؤمن أن يتعاهده، ويداوم على صيانته من النقائص، وحفظه من النواقض، وحيث إنّ المصدر الرئيس لمسائل الإيمان هو القرآن الكريم، فكان لزاماً على الباحثين أن يجعلوا القرآن أول مصدر لدراسة مسائل الولاء والبراء.

كما أن تناول هذه القضية وربطها بمسائل التناسب بين السور، والتناسق الموضوعي للآيات، وارتباط الآيات بسياق السورة ليجلي المسألة أكثر، ويوقعها في نفس المؤمن موقعاً حسناً.

حدود البحث:

1. سيكون مجال الدراسة هو التناسق الموضوعي لآيات الولاء والبراء دون التعمق في قضايا العقيدة وعلم الكلام، وسيكون التركيز على آيات الولاء والبراء في القسم المدني لأنها توسعت في عرض الموضوع، ولأنها اهتمت بالتطبيقات العملية للولاء والبراء، بينما ستتم دراسة آيات الولاء والبراء في القسم المكي بشكل أقرب إلى التفسير الموضوعي المختصر، فموضوع القسم المكي عموما هو بناء العقيدة، وهو بحد ذاته ولاء وبراء، ولم تتوسع الآيات المكية في التفصيلات إلا قليلا، فسيتناول البحث في ثناياه بعض خطوات التفسير الموضوعي، دون استطراد، ودون أن يخرج الدراسة عن موضوعها الأساسي وهو التناسق الموضوعي لآيات الولاء والبراء، فالمقصد من الدراسة بيان تناسق موضوعات السورة على هذا النسق المعجز، وبيان تناسق آيات الولاء والبراء مع موضوعات السورة ووحدتها الموضوعية واسمها.
2. وركزت الدراسة على الآيات التي جاءت فيها مادة "**ولي**" مطلقة كانت أم مقيدة، وما كان معنى الولاء فيها بمعنى الرب والآلهة والنصرة والولاية في الدين، بالإضافة إلى المصطلحات التي تدل على معنى الولاء كالبطانة والركون والطاعة والمحبة والوليجة وغيرها، وبذلك اختارت الباحثة السور التي تمت دراستها.
3. وأود أن أوضح أن سبب اختيار هذه السور تحديداً هو لغلبة الظن بأنها تشتمل على أمات آيات الولاء والبراء، وإن كانت باقي السور لا تخلو من هذا الأمر، لكن طبيعة هذا البحث لا تسمح بتناولها كلها.

منهجية البحث:

اتبعت في هذه الدراسة عدة مناهج أهمها:

1. المنهج الاستقرائي: في تتبع آيات الولاء والبراء التي تحدد طبيعة الولاء لله وللرسول ﷺ وللمؤمنين، وتحدد طبيعة البراء من المشركين والشركاء، ثم دراسة تلك الآيات من ناحية التناسق.
2. المنهج الاستنباطي: حيث استنباط اللطائف المتعلقة بتناسق موضوع الولاء والبراء في القرآن، في السورة الواحدة، وفي القرآن عموما.

الدراسات السابقة والإضافة العلمية:

من خلال اطلاعي على فهارس المكتبات، وفي حدود ما وقفت عليه من دراسات سابقة لم أجد من تناول موضوع التناسق الموضوعي لآيات الولاء والبرء في القرآن، ولكن هناك دراسات تلتقي مع موضوع بحثي في بعض جوانبه الموضوعية ومن ذلك ما يأتي:

مشروع جامعة أم القرى في التناسق الموضوعي لكل سورة، منها: الأنفال، الأعراف، الرعد، النحل، النور، الأنبياء، السجدة، غافر، الجن، النبأ والنازعات، الجمعة والمنافقون والتغابن...، وسأذكر نموذجين من دراسات جامعة أم القرى وذلك حتى يتضح الفرق بين تلك الدراسات وبين عنوان دراستي:

1. **التناسق الموضوعي في سورة الأنفال**"، للباحث بدر إبراهيم رجاء الذبياني، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، 2012م، اعتمد الباحث في رسالته على منهج محدد لبيان التناسق في السورة، ويرتكز المنهج المتبع في الرسالة على تقسيم السورة إلى موضوعات رئيسة، وبيان

التناسق بين موضوعات السورة، بالإضافة إلى الاستطراد في ذكر المقدمات قبل الخوض في بيان التناسق كذكر عدد الآيات، مكية السورة ومدنيتها، أسباب النزول، وغير ذلك. وناقشت الرسالة موضوع الولاء والبراء وذلك من خلال العرض الإجمالي للآيات، ثم ربط الموضوع الذي جاءت فيه الآيات بالموضوعات الأخرى للسورة. ويظهر لنا الاختلاف بين موضوع الرسالة، وموضوع رسالتي من ناحية المنهج المتبع في الدراسة، فقد ارتكزت رسالتي على بيان تناسق الآيات من عدة جوانب، الجانب الأول بيان التناسق بين الوحدة الموضوعية للسورة واسمها، الجانب الثاني التناسق بين آيات الولاء والبراء وبين الوحدة الموضوعية للسورة واسمها، أما جانب الأخير فقد ارتكز على بيان تكامل آيات الولاء والبراء في سورة الأنفال مع غيرها من السور في تجلي موضوع الأخلاق .

2. "**التناسق الموضوعي في سورة الرعد**" للباحثة حسينة بن علي الزهراني، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى 2014م، اعتمدت الباحثة في رسالتها على منهج محدد لبيان التناسق الموضوعي في السورة، وذلك من خلال دراسة الموضوعات الرئيسة في سورة الرعد ثم دراسة الموضوعات الرئيسة ضمن تناسقها الموضوعي، وذلك ببيان التناسق والعلاقة بين موضوعات السورة، وتمت دراسة آيات الولاء والبراء في السورة من خلال العرض المجمل لمعنى الآيات، ثم ربط الموضوع الذي جاءت فيه آيات الولاء والبراء مع الموضوعات الأخرى للسورة. وتختلف دراستي من ناحية المنهج المتبع، حيث ارتكزت دراستي على بيان تناسق آيات الولاء والبراء في السورة وذلك من خلال دراسة الآيات وبيان تناسقها مع الوحدة الموضوعية للسورة واسمها، والسياق الذي جاءت فيه.

3. **الولاء والبراء في القرآن الكريم دراسة موضوعية** للباحث، أحمد المناعي، رسالة ماجستير نوقشت في الجامعة الأردنية عام 1993م. اهتم الباحث في هذه الرسالة بعرض منهجية

القرآن في تناول هذه القضية وذلك من خلال مخاطبة العقل والعاطفة. بدأ بذكر صور ومظاهر الولاء والبراء، ولاية المؤمنين من ناحية الموجبات والجزاء المترتب على هذه الولاية، ومن ثم تطرق إلى ولاية الكافرين والمنافقين والطاغوت وتوسع في ذكر المعاني اللغوية والاصطلاحية، آثار الكفر والنفاق، منطقية المؤمن في البراء من الكفار، ومن ثم عاقبة مولاتهم. وأخيراً تكلم عن مولاة أهل الكتاب. هذه الدراسة وإن تناولت التفسير الموضوعي لآيات الولاء والبراء، إلا أنها توسعت في ذكر الأمور العقدية والمعاني اللغوية والاصطلاحية كما في معنى العبادة والكفر والنفاق والطاغوت، ولم تتطرق لموضوع الآيات الولاء والبراء من ناحية التناسق الموضوعي لآيات الولاء والبراء.

4. **الولاء والبراء في ضوء القرآن**، للباحث جمال الهوبي، وهو بحث محكم، نشر في مجلة الحكمة عام 2009م: تناول الباحث قضية الولاء والبراء من جانب عقدي ففصل في هذه القضية لأهميتها في توجيه المسلمين، فتناول معنى وحكم وحقيقة الولاء والبراء، مظاهر ولاء المسلمين، مظاهر ولاء الكفار....، هذا البحث وإن تناول موضوع الولاء والبراء في القرآن إلا أنه ركز على الجانب العقدي دون التطرق إلا جانب التناسق الموضوعي لآيات الولاء والبراء في القرآن.

ومن خلال الاطلاع على الدراسات السابقة نجد أن هناك فرقاً واضحاً بين الدراسات السابقة وبين موضوع رسالتي، فموضوع رسالتي يهتم بدراسة التناسق الموضوعي لآيات الولاء والبراء، وذلك من خلال دراسة موقع آيات الولاء والبراء في القرآن، ثم ربط الآيات بالسياق الذي جاءت فيه وبالوحدة الموضوعية للسورة وباسم السورة، ومن ثم بيان تكامل آيات الولاء والبراء مع السور التي تحدثت عن هذا الموضوع، وبيان كيف أن موضوع الولاء والبراء متسق ومتلاءم مع بعضه

البعض بحيث تكون لنا دراسة الآيات من ناحية التناسق الموضوعي تصور واضح لموضوع الولاء والبراء في القرآن.

التمهيد: التعريف بالمصطلحات والمنهج المتبع في دراسة التناسق الموضوعي

أولاً: تعريف التناسق الموضوعي والمصطلحات المقاربة

1- التناسق لغة:

أذكر هنا المعاني اللغوية الواردة في معنى (التناسق)، وذلك من خلال الرجوع إلى بعض المراجع اللغوية:

قال الفراهيدي في أصل الكلمة (نسق): "النَّسَقُ من كل شيء: ما كان على نظام واحد عام في الأشياء"[1]

وقال الجوهري: "النسق يطلق على ما جاء من الكلام على نظام واحد" [2].

وقال ابن فارس: "النون والسين والقاف أصل صحيح يدل على تتابع في الشيء، وكلام نسق جاء على نظام واحد قد عطف بعضه على بعض"[3].

---

(1) الفراهيدي: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد، **العين**، تحقيق، مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، (دار ومكتبة الهلال)، ج5، ص81.

(2) الجوهري: أبو النصر إسماعيل بن حماد، **الصحاح**، تحقيق، أحمد عبد الغفور، (بيروت: دار العلم للملايين، ط4، 1987م)، ج4، ص1558.

(3) ابن فارس: أبو الحسن أحمد القزويني، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام هارون، (د.م: دار الفكر، د.ط، 1979م)، ج5، ص420

من خلال كلام الأئمة المتقدمين يتضح لنا المعنى اللغوي للتناسق، فهو يأتي على عدة معان منها: التتابع، والعطف، والتنظيم، وهذه هي المعاني التي سأتناولها عند دراسة التناسق الموضوعي.

2- الموضوعي لغة

قال ابن فارس أصل الكلمة (وضع) فالواو والضاد والعين أصل واحد يدل على الخفض للشيء وحطه[1].

3- التناسق الموضوعي اصطلاحًا:

التناسق الموضوعي مركب من كلمتين (التناسق) (الموضوعي)، ويعد هذا الاصطلاح من المصطلحات المعاصرة:

ويعرف التناسق الموضوعي بأنه: "المعنى الذي يربط بين موضوعات السورة وبين علل ترتيبها لإبراز التلاؤم والانسجام والنظام والتتابع بين الموضوعات،... وعليه فإن التناسق الموضوعي في القرآن يشمل التناسق الموضوعي في القرآن جميعه، والتناسق الموضوعي في سوره" [2].

ومنهم من اصطلح على مصطلح يدل على معنى التناسق في القرآن مثل عبد الحميد الفراهي في كتابه (دلائل النظام) حيث قال: "مصطلح نظام القرآن، والذي يقصد به معنى أعم من التناسب، فهو أي علم النظام لا يظهر التناسب وحده، بل يجعل السورة كلامًا واحدًا، ويعطيها وحدانيتها التي بها صارت سورة كاملة مستقلة بنفسها ذات عمود تجري إليه أجزاؤها، ويربط بعضها ببعض حتى

---

(1) ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ج6، ص117.

(2) بازامول: محمد بن عمر بن سالم، " **التناسق الموضوعي في السورة القرآنية**"، الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه، م46، ص11.

تأخذ كل آية محلها الخاص"[1]، وبذلك يتضح أن مصطلح (نظام القرآن) يدل على التناسق في القرآن.

وقال الزرقاني في كتابه "مناهل العرفان" عند حديثه عن جودة سبك القرآن: "فبين كلمات الجملة الواحدة من التشابك والترابط مما يجعلها رائعة التجانس والتناسق، وبين جمل السورة الواحدة من التشابك والترابط ما جعلها وحدة صغيرة متآخذة الأجزاء متعانقة الآيات، وبين سور القرآن من التناسب ما جعله كتابًا سوي الخلق حسن السمت[2]".

1. الوحدة الموضوعية للسورة

تحدث سيد قطب عن الوحدة الموضوعية للسورة على النحو الآتي: "لكل سورة من سور القرآن الكريم شخصية مميزة،... ولها موضوع رئيسي أو عدة موضوعات رئيسة مشدودة إلى محور خاص، ولها جو خاص يظلل موضوعاتها كلها ويجعل سياقها يتناول هذه الموضوعات من جوانب معينة تحقق التناسق بينها..." [3] ففي الوحدة الموضوعية يهدف المفسر إلى بيان المحور الأساس الذي تدور عليه موضوعات السورة.

---

(1) الفراهي: عبد الحميد، **دلائل النظام، (د.م، المطبعة المحمدية، ط1، 1388هـ)**، ص5.

(2) الزرقاني: محمد عبد العظيم، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، (د.م: مطبعة عيسى البابي، ط3، د.ت)، ج2، ص316.

(3) قطب: سيد، **في ظلال القرآن**، (إسطنبول: دار الأصول العلمية، ط1، 2019م)، ج2، ص198.

ومن خلال تعريف التناسق الموضوعي، يمكن أن نبين الفرق بين التناسق الموضوعي والوحدة الموضوعية، ففي التناسق الموضوعي ينظر الباحث إلى ترابط موضوعات السورة الواحدة وبيان التلاؤم والانسجام بينها في نظامها البديع، بينما في الوحدة الموضوعية فمجال الدراسة يكون منصبا على بيان المحور الأساس الذي تدور عليه موضوعات السورة، وذلك من خلال بيان مقاصد السورة وموضوعاتها، ثم ينظر المفسر إلى الخيط الناظم الذي يربط موضوعات السورة، وبذلك تتضح العلاقة بين بين التناسق الموضوعي والوحدة الموضوعية، فهي علاقة تكاملية، فمن خطوات بيان التناسق الموضوعي للسورة تحديد الوحدة الموضوعية للسورة.

ومن خلال بيان معنى التناسق الموضوعي والذي يهدف إلى بيان التلاؤم والانسجام بين موضوعات السور، نستطيع أن نميز بينه وبين علم المناسبات الذي يهتم ببيان علل ترتيب أجزاء القرآن [1]، وإلى بيان "ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني"[2]، فعلم المناسبات يهتم بالكشف عن المناسبة بين الآيات المتجاورة، أو السور اللاحقة والسابقة[3]، ومناسبة ختام السورة لمطلعها، بينما في التناسق الموضوعي ينظر إلى السورة باعتبار موضوعاتها، وكيف ارتبطت الموضوعات بعضها ببعض [4]، وكلام الفراهي أعلاه يؤكد هذا الفرق بين المصطلحين.

---

(1) ينظر: البقاعي، **نظم الدرر**، ج1، ص5.

(2) الزركشي: أبو عبد الله بدر الدين، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (بيروت: دار المعرفة ، ط1، 1957م)، ج1، ص36.

(3) ينظر: الفراهي، **دلائل النظام**، ص 4.

(4) ينظر: بازامول: محمد بن عمر بن سالم، " **التناسق الموضوعي في السور القرآنية**" ، **ص20**.

2. التفسير الموضوعي:

للعلماء في بيان معنى مصطلح التفسير الموضوعي آراء مختلفة، وأكتفي بذكر تعريف عبد الستار سعيد إذ قال إنه: "علم يبحث في قضايا القرآن الكريم، المتحدة في معنى أو غاية، وذلك عن طريق جمع آياتها المتفرقة والنظر فيها... لبيان معناها، واستخراج عناصرها وربطها برباط جامع[1]".

ويرتكز التفسير الموضوعي على قواعد وأسس، يمكن أن ألخصها على النحو الآتي:

1. يقوم الباحث بجمع الآيات التي تبحث عن موضوع واحد أو مصطلح واحد وذلك بالنظر في السور المختلفة، وعند تحديد الآيات يتم تقسيم هذه الآيات إلى أبواب وعناوين، ثم دراسة كل مجموعة من الآيات دراسة موضوعية للوصول إلى الهدايات [2].
2. وبذلك يختلف التناسق الموضوعي عن التفسير الموضوعي من ناحية المنهج المتبع في دراسة الآيات، ففي التناسق الموضوعي يهدف الباحث إلى بيان الترابط بين موضوعات السور، وبيان التلاؤم والانسجام بين الموضوعات.

---

(1) سعيد: عبد الستار، **المدخل إلى التفسير الموضوعي**، (القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط2، 1991م)، ص20.

(2) ينظر: عبد الستار، **المدخل إلى التفسير الموضوعي**، ص 21.

رابعاً: الخطوات المنهجية التي يتطلبها التناسق الموضوعي:

طبيعة الدراسة تقتضي بيان التناسق بين آيات الولاء والبراء، وبين الوحدة الموضوعية للسورة واسمها، وكذلك التناسق بين آيات الولاء والبراء والسياق الذي جاءت فيه الآية، وحتى يتحقق ذلك لابد من خطوات منهجية، ويمكن أن ألخص ذلك على النحو الآتي:

1. تحديد الآيات المتعلقة بالولاء والبراء وذلك من خلال الرجوع إلى المعجم المفهرس لآيات القرآن، وركزت على الآيات التي جاءت فيها مادة "**ولي" مطلقة كانت أم مقيدة**، وما كان معنى الولاء فيها بمعنى الرب والآلهة والنصرة والولاية في الدين، بالإضافة إلى المصطلحات التي تدل على معنى الولاء كالبطانة والركون والطاعة والمحبة، الوليجة وغيرها. ولم أتطرق إلى الآيات التي جاءت فيها الولاء بمعنى العصبة، أو الصاحب من غير قرابة، الولد، وبناء على ذلك تم تحديد السور التي تناولت الموضوع. وكذلك تحديد الآيات التي تحدثت عن البراء، وهي قليلة.

2. واعتمدت في بيان عدد المواضع في السورة، بجعل الآيات المتقاربة والواردة ضمن سياق واحد موضعًا واحدًا.

3. تحديد الوحدة الموضوعية للسورة: هذا الأمر فيه اجتهاد واختلاف بين العلماء، واعتمدت الباحثة على المصادر التي اهتمت بتحديد الوحدة الموضوعية للسورة، سواء اصطلح العلماء على الوحدة الموضوعية بمحور السورة، أو عمود السورة، وغيرها مما يدل على الوحدة الموضوعية، واعتمدت على عدة مراجع من أهممها: نظم الدرر للبقاعي، ومصاعد النظر للبقاعي، وتفسير "في ظلال القرآن" لسيد قطب، وموسوعة التفسير الموضوعي، ونظام القرآن للفراهي، واكتفيت بذكر آراء المفسرين حول ذلك، مع إضافة تعليقات في بعض المواضع.

4. في بيان الارتباط باسم السورة، اعتمدت على بعض المصادر التي ذكرت ذلك بشكل واضح مثل مصاعد النظر للبقاعي، بالإضافة إلى الاجتهاد في تحديد دلالة اسم السورة وذلك من خلال النظر في السياق الذي ورد فيه اسم السورة، أو موضوعاتها الرئيسة.

5. في تحديد سياق الآيات اعتمدت على موسوعة التفسير الموضوعي لسور القرآن، بالإضافة إلى التفسير المنير لوهبة الزحيلي، واعتمدت على التفسير المجمل لسياق الآيات دون الخوض في القضايا التفسيرية والاستطراد.

6. بعد أن بينت ما يتعلق بالوحدة الموضوعية للسورة واسمها والسياق الذي جاءت فيه الآيات، شرعت ببيان التناسق بين الوحدة الموضوعية للسورة واسمها، ثم ربط هذا التناسق بآيات الولاء والبراء في السورة، ثم بعد ذلك أبين تناسق تلك الآيات مع السياق الذي جاءت فيه.

7. وختاماً أوضح أن سبب اختيار هذه السور هو لأنها تشتمل على أمهات آيات الولاء والبراء، وإن كان جل سور القرآن لا تخلو من هذا الموضوع وإن بدلالة الالتزام، لكن مجال البحث لا يسمح بدراستها كلها.

تعريف الولاء لغة واصطلاحًا:

1- الولاء لغة:

قال ابن منظور في لسان العرب: الولي من أسماء الله سبحانه وتعالى، " فالولي هو الناصر، وقيل المتولي لأمور العالم والخلائق القائم بها.....، وقال ابن سكيت: الوِلاية بالكسرة السلطان، والوَلاية بالفتحة النصرة..." [1].

وقال ابن فارس في مقاييس اللغة: "(ولي) الواو واللام والياء: أصل صحيح يدل على قرب. ومن ذلك الولي: القريب. يقال: تباعد بعد ولي، أي قرب. وجلس مما يليني، أي يقاربني. والولي: المطر يجيء بعد الوسمي، سمي بذلك لأنه يلي الوسمي"[2].

2- الولاء اصطلاحًا:

قال الراغب الأصفهاني في المفردات: "الوَلَاءُ والتَّوَالِي :أن يَحْصُلَ شيئان فصاعدًا حصولا ليس بينهما ما ليس منهما، ويستعار ذلك للقرب من حيث المكان، ومن حيث النّسبة، ومن حيث الدّين، ومن حيث الصّداقة والنّصرة والاعتقاد، والوِلَايَةُ النُّصْرةُ، والوَلَايَةُ :تَوَلِّي الأمرِ"[3]

---

(1) ابن منظور، **لسان العرب**، ج15، ص406، 407.

(2) ابن فارس، معجم **مقاييس اللغة**، ج6، ص141

(3) الراغب الأصفهاني: الحسين بن محمد، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، (دمشق: دار القلم، ط1، 1416هـ)، ص885.

وقال الزجاج في معاني القرآن: " يقال قد توليت فلاناً، ووليت فلاناً ولايةً، والوِلَايَةُ بالكسر اسم لكل ما يتولى، ومعنى وَلى على ضروب، فالله – ولي المؤمنين في حِجَاجِهم وهدايتهم، وإقامةِ البرهان لهم لأنه يزيدهم بإيمانهم هداية ووليهم أيضاً في نصرهم وإظهار دينهم"[1].

بناء على ما ذكره الزجاج والراغب الأصفهاني من معنى الولاء، فإن الدراسة سترتكز على آيات الولاء التي جاء فيها الولاء بمعنى الرب والآلهة العون الولاية في الدين، وثمة معاني أخرى للولاء كالقرابة والولد والعصبة والصاحب[2]، إلا أن هذه المعاني لم تتناولها الباحثة في الدراسة.

ثالثًا: تعريف البراء لغة واصطلاحا:

1- تعريف البراء لغة:

قال ابن فارس في مقاييس اللغة: أصل البراءة من (برأ)، الباء والراء والهمزة فأصلان إليهما ترجع فروع الباب: أحدهما الخلق، يقال: برأ الله الخلق يبرؤهم برء...، أما الأصل الثاني: التباعد من الشيء ومزايلته من ذلك الْبُرْءُ، وهو السلامة من السقم، يقال: بَرِئْتُ وَبَرَأْتُ" [3].

---

(1) الزجاج: إبراهيم بن سري، **معاني القرآن وإعرابه**، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، (بيروت: عالم الكتب، ط1، 1988م) ج1، ص339.

(2) لمزيد من التفصيل حول ينظر: يحي بن سلام، **التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه**، (تونس: الشركة التونسية للتوزيع، د.ط، 1979م)، ص235– 239 .

(3) ابن فارس، **مقاييس اللغة**، ج1، ص236.

2- تعريف البراء اصطلاحًا:

قال الراغب الأصفهاني: "أصل البُرْءِ والبَرَاءِ والتَبَرّي :التقصّي مما يكره مجاورته، ولذلك قيل: بَرَأْتُ من المرض وبَرِئْتُ من فلان وتَبَرَّأْتُ وأَبْرَأْتُهُ من كذا، وبَرَّأْتُهُ، ورجل بَرِيءٌ، وقوم بُرَآء وبَرِيئُون"[1].

(1) الراغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، ص121.

الفصل الأول: التناسق الموضوعي لآيات الولاء والبراء في السور المكية

المبحث الأول: التناسق الموضوعي لآيات الولاء والبراء في سور الأنعام والأعراف ويونس وهود

المبحث الثاني: التناسق الموضوعي لآيات الولاء والبراء في سور يوسف والرعد والنحل والإسراء والكهف ومريم والحج

المبحث الثالث: التناسق الموضوعي لآيات الولاء والبراء في سور الفرقان، الشعراء، العنكبوت، السجدة، سبأ ،الزمر فصلت، الشورى، الدخان، الجاثية، الأحقاف، الكافرون.

توطئة

يختلف تناولنا لهذا الفصل عن غيره من الفصول، إذ السور المكية التي تناولت مفردة الولاء والبراء كثيرة، ومورد ذكر الآيات في تلك السور يكاد يكون متشابها، فما ورد في الآيات المكية من لفظ الولاء جاء غالبا بمعنى المعبود، وهذا مناسب للفترة المكية التي تؤسس العقيدة، حيث إفراد الله بالعبادة دون الشركاء الذين عُبدوا من دونه، فهو الإله الحق سبحانه، إضافة إلى تقرير حقيقة المعاد، حيث اليوم الآخر، وموضوع الأخلاق والقيم الإنسانية التي سعى القرآن إلى تحقيقها، تكريما للإنسان وتأكيدا على دوره في هذه الحياة. فالآيات المكية في عمومها ولاء وبراء.

سيتم تقسيم هذا الفصل إلى مباحث، في كل مبحث مجموعة من السور، نتطرق مباشرة إلى تعريف مختصر بموضوع السورة واسمها، وموقع آيات الولاء والبراء فيها، وفي حال كانت الآيات واردة في القصص القرآني، سأبين كيف تناسقت القصة مع موضوع الولاء والبراء، وسيأتي التفصيل ذلك في مباحث هذا الفصل.

ومن خلال استقراء آيات الولاء والبراء المكية، نجد أنها وردت في حق الله تعالى على أكثر من طريقة: منها (ولي، شفيع)، (ولي، نصير)، (ولي، واق)، وتارة أخرى يأتي اللفظ منفردا (ولياً، أولياء). وفي حق غير الله فقد كثر ارتباطها بالشركاء، خاصة الشيطان والكفار، وتأتي بلفظ (يتولونه)، وما شابهها.

المبحث الأول: التناسق الموضوعي لآيات الولاء والبراء في سور الأنعام والأعراف ويونس وهود

أولاً: سورة الأنعام:

يدور مقصد سورة الأنعام على إثبات وحدانية الله سبحانه وتعالى، وأنه الحائز لجميع الكمالات من الإيجاد والإعدام والقدرة على البعث"[1]، ولعل من أعجب أمر الشرك عندهم ما جاء في شأن الأنعام، ولذلك سميت بهذا الاسم، ولم تأت فيها إلا قصة واحدة هي قصة إبراهيم عليه السلام في شأن شرك قومه في عبادة الكواكب، وهي متسقة مع موضوع السورة الرئيس.

جاء الموضع الأول لآيات البراء في السورة في قوله تعالى: ﴿قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَهُوَ يُطۡعِمُ وَلَا يُطۡعَمُۗ قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَسۡلَمَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٤﴾[الأنعام]، وجاءت الآية في سياق إثبات وحدانية الله سبحانه وتعالى وتصرفه في الكون، وفي ذلك إثبات وتقرير لوجوب إفراد الله بالطاعة والعبادة، فمعنى الولي هنا: "الرب والمعبود والناصر"[2]، بالإضافة إلى أن الآية قررت ضعف المعبودات وأنها لا تملك الرزق، وفي ذلك تقرير ببطلان هذه الآلهة [3]، وبذلك تكون الآية قد تناسقت مع الوحدة الموضوعية للسورة، الذي هو إثبات وحدانية الله سبحانه وتعالى، وذلك من خلال بيان الآيات لضعف الآلهة المعبودة من دون الله.

---

(1) البقاعي، مصاعد النظر، ج2، ص118.

(2) أبو السعود: محمد بن محمد، **إرشاد العقل السليم**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت)، ج2، ص116.

(3) ينظر: أبو السعود، **إرشاد العقل السليم**، ج2، ص116.

وجاء الموضع الثاني في قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرۡ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٞ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ٥١﴾، والآية في سياق إثبات الملك لله سبحانه وتعالى وأنه بيده كل شيء ولا تخفى عليه خافية، ثم ذكرت الآيات الأدلة على ملك الله وتصرفه التام، فذكر سياق الآيات تصرف الله بالسمع والبصر والقلوب، وأن الأوثان التي يعبدها المشركون لا تملك من الأمر شيئاً، وفي ذلك إنكار على المشركين الذين يتخذون الأنداد بقصد التقرب ونيل شفاعتها ونصرتها يوم القيامة[1]، وبذلك يكون ارتباط الآية بمحور السورة واضح، حيث إثبات وحدانية الله سبحانه وتعالى، وذلك بعد أن بيينت الآيات بطلان الآلهة المعبودة من دون الله.

وجاء الموضع الثالث في قوله تعالى: ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَعِبٗا وَلَهۡوٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ وَذَكِّرۡ بِهِۦٓ أَن تُبۡسَلَ نَفۡسُۢ بِمَا كَسَبَتۡ لَيۡسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ وَإِن تَعۡدِلۡ كُلَّ عَدۡلٖ لَّا يُؤۡخَذۡ مِنۡهَآۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبۡسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْۖ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ٧٠﴾ [الأنعام]، في سياق بيان بطلان رأي المشركين في عبادتهم وتقربهم للآلهة بقصد نيل شفاعة تلك الآلهة ونصرتها يوم القيامة[2]، بل مرجعهم إلى الله الملك الحق، الذي يجازيهم بالعدل على كل كبيرة وصغيرة فعلوها في الحياة الدنيا[3]، وهذا ما أشار إليه الموضع الرابع في السورة: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ

---

(1) الماتريدي: محمد بن محمود، **تأويلات أهل السنة**، تحقيق: مجدي باسلوم، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2005م)، ج4، ص90؛ السمعاني: منصور بن محمد،، **تفسير السمعاني**، تحقيق: ياسر إبراهيم، غنيم عباس، (السعودية: دار الوطن، ط1، 1997م)، ج2، ص106.

(2) المرجعان السابقان.

(3) ينظر: الزمخشري: محمود بن عمر، **الكشاف**، تحقيق: أبي عبد الله الداني زهوي، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط1، 2006م)، ج2، ص26.

فَوْقَ عِبَادِهِۦۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأنعام]، وبذلك تكون الآيات قد ارتبطت بمحور السورة المتحدث عن إثبات وحدانية الله سبحانه وتعالى، وذلك من خلال إثبات بطلان الآلهة المعبودة من دون الله والتي لا تملك الشفاعة يوم القيامة، ومن خلال إثبات الحكم والقضاء لله سبحانه وتعالى.

وجاء الموضع الخامس والسادس والسابع في سياق المقارنة بين من اتخذ الله وليا يواليه بالعبادة والطاعة والاستقامة على الصراط المستقيم، وبين من زاغ عن الصراط مع وضوح الأدلة على توحيد الله، فجاء الموضع الخامس ليبين جزاء من التزم الصراط: ﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًاۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْأٓيَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [الأنعام]، فهؤلاء يجازيهم الله بالجنة وولايته؛ "فهو وليهم وحافظهم وناصرهم في الدنيا، ووليهم في الآخرة بالثواب"[1]، وجاء الموضع السادس ليبين الله حال من زاغ عن الصراط ولم يتمسك به، إنما كان همه الاستمتاع بشهوات الدنيا وملذاتها: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِيٓ أَجَّلْتَ لَنَاۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [الأنعام]، فبين الله الولاية التي كانت بين الجن والإنس، فالإنس يحققون الطاعة والانقياد، والجن يزينون للأتباع الشهوات والمعاصي،

---

(1) السمرقندي: نصر بن محمد، **بحر العلوم**، تحقيق: علي محمد معوض؛ عادل أحمد، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1993م)، ج1، ص482.

ثم بين الله حال هذه الولاية يوم القيامة، حيث الخسران والخلود في النار لكلا الطرفين[1]، وهذه الولاية ليست خاصة بالجن والإنس، إنما هي ولاية بين الظالمين؛ ولاية شر وفساد إغواء، وهذا ما قرره الموضع السابع: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعۡضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٢٩﴾[2].

بهذا يتبين كيف جاء موضوع الولاء والبراء متناسقا في السورة رغم تعدد مواضع ذكره، متناسقا مع الوحدة الموضوعية للسورة واسمها.

ثانيًا: سورة الأعراف:

تدور سورة الأعراف على بيان" عقيدة التوحيد عبر رحلة البشرية منذ وجودها الأول ومسيرها الطويل، إلى نهاية عودتها ورجوعها إلى الدار الآخرة، فقد خلق الله تعالى آدم وزوجته وأسكنهما الجنة، وحذرهما من عدوهما الشيطان..."[3]، وقد عرضت السورة لتلك الرحلة البشرية التي تبرز حقيقة التوحيد، فعرضت السورة قصة نوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم أفضل السلام مع أقوامهم، فتمثل دور الأنبياء عليهم السلام في عرض حقيقة واحدة، وهي توحيد الله وإفراده بالعبادة: (يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ)، وتمثل دور القوم في التكبر والتجبر على دعوة الحق[4]،

---

(1) ينظر: الرازي: محمد بن عمر، **مفاتيح الغيب، (د.م، الفكر للطباعة، ط1، 1981م)**، ج13، ص201.

(2) ينظر: الطبري، جامع البيان، ج12، ص120، السعدي: عبد الرحمن بن ناصر، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تحقيق: عبد الرحمن معلا اللويحق، (د.م: مؤسسة الرسالة،ط1، 2000م)، ص273.

(3) نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن بإشراف مصطفى مسلم، **التفسير الموضوعي لسور القآن الكريم**، (الشارقة– كليه الدراسات العليا والبحث العلمي، ط1، 2010م)، ج3، ص1.

(4) ينظر: سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج3، ص108– 109.

ولعل الاسم من حيث المعنى فيصل بين أهل الإيمان وأهل الكفر، أو أعلى الشيء، فناسبت آيات الولاء هذا المعنى أن من الأمور التي تفصل في حال المؤمن وبيان درجته هو الولاء، وهو أمر رئيس في القصص الذي ورد في السورة في حوار الرسل مع أقوامهم.

وجاءت آيات الولاء والبراء في أربعة مواضع في السورة:

الموضع الأول في قوله تعالى: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٣﴾، وهو في سياق الأمر للمؤمنين بإخلاص العبادة لله سبحانه وتعالى واتباع الصراط المستقيم، والنهي عن اتباع الأولياء وطاعتهم، ثم جاء الموضع الثاني في قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٢٧ ... فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُۚ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ ٣٠﴾، ليبين حال من تنكب الصراط، لأنهم استحبوا ولاية الشيطان، فاتخذوهم أنصاراً لهم وإخواناً[1]، يخلصون لهم الطاعة دون الله[2]، وهذان الموضعان مناسبان لما سيأتي الحديث عنه من قصص لأقوام أشركوا بالله وتكبروا، إذ موضوع العقيدة الرئيس هو إفراد الله بالعبودية، والبراءة من الشرك والشركاء.

---

(1) ينظر: ابن عطية، عبد الحق بن غالب، **المحرر الوجيز**، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، (بيروت: دار الكتب، ط1، 1422هـ)، ج2، ص392.

(2) ينظر: السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، ص286.

وجاء الموضع الثالث في السورة: ﴿... أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ ١٥٥﴾، وهو في سياق الحديث عن بني إسرائيل وضلالهم بعبادتهم العجل، ثم ما كان من استدعاء الفئة الصالحة ليعتذروا عن ضلالة قومهم[1].

وجاء الموضع الرابع في السورة في قوله تعالى: ﴿أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ١٩١ وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ لَهُمۡ نَصۡرٗا وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ١٩٢... إِنَّ وَلِيِّيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩٦ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَكُمۡ وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ١٩٧﴾، فالآيات في سياق بيان انحراف المشركين عن عقيدة التوحيد، ثم شرعت الآيات في مواجهة المشركين الذين يتخذون الآلهة من دون الله، فبينت الآيات ضعف تلك الآلهة وبينت بطلانها واتصافها بصفات الضعف والذل؛ فهي مخلوقة عديمة الفائدة لنفسها ولغيرها[2]، وفي ذكر النصرة في هذا السياق دليل على بطلان الآلهة المعبودة، "فإن المعبود يجب أن يكون قادراً، ومن كان عاجزاً نوع عجز كان مربوبًا"[3]، فكيف تصح عبادته، ثم ختمت الآيات بإعلان رسول الله صلى الله عليه سلم التجاءه إلى الله وحده سبحانه وتعالى فهو وليه وناصره [4]

---

(1) ينظر: الواحدي: علي بن أحمد، **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، (دمشق: دار القلم، ط1، 1451هـ)، ص415.

(2) ينظر: ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج، **زاد المسير في علم** التفسير، تحقيق: **عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط1، 1422هـ)** ، ج2، ص178؛ سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج3، ص337.

(3) البقاعي: **برهان الدين، نظم الدرر**، (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، د.ط، د.ت)، ج8، ص193.

(4) ينظر: سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج3، ص337.

ومن هنا فإن آيات الولاء والبراء قد تناسقت مع اسم السورة ووحدتها الموضوعية، فالولاء الصحيح هو الفيصل بين المؤمنين والكافرين، فمن التزم شرع الله وأخلص العبادة لله فقد نال الدرجة العالية، ومن اتبع الأولياء من دون الله تنكب عن الصراط، ونلاحظ كيف تناسق توزيع آيات الولاء والبراء مع الموضوعات التي وردت في سياقها، كل ذلك وفق نظم دقيق مقصود، يذكرنا الله تعالى بالولاء والبراء حيث اقتضى التنويه، ابتدأت السورة به واختتمت به، فالعقيدة قائمة على الولاء لله وحده، والبراء مما سواه من المعبودين.

ثالثًا: سورة يونس:

سميت بسورة يونس عليه السلام، وهو أحد ثلاثة رسل وردت قصصهم فيها، يونس ونوح وموسى، ولعلهم يشتركون في مواقفهم من أقوامهم حيث شدة تعنتهم ودعاء هؤلاء الرسل عليهم، فجاءت السورة تعالج الخلل العقدي وما يصد الناس عن الدين الحق، مع التأكيد على الصبر.

ومن هنا فقد اهتمت سورة يونس بإثبات وحدانية الله، وبيان بطلان الآلهة المعبودة من دون الله، وتطرقت إلى بيان إعجاز القرآن، وإثبات الرسالة الخالدة[1]، وجاءت آيات الولاء والبراء في السورة في موضعين:

الموضع الأول في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُواْ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْۚ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْۖ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ

(1) ينظر: ابن عاشور: محمد الطاهر، **التحرير والتنوير**، (تونس: الدار التونسية، د.ط، 1984م)، ج11، ص79، 80.

لَغَٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبۡلُواْ كُلُّ نَفۡسٖ مَّآ أَسۡلَفَتۡۚ وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۖ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿٣٠﴾﴾، وهي في سياق بيان خيبة المشركين يوم القيامة، حين تتبرأ الآلهة من عابديها يوم القيامة، بل تحاسب كل نفس على ما قدمت في الحياة الدنيا، فالجميع مرجعهم إلى الله سبحانه وتعالى للحساب والجزاء العادل[1]، ومن هنا تناسقت الآية مع موضوع السورة حيث أثبتت وحدانية الله سبحانه وتعالى، وأبطلت الآلهة المعبودة من دون الله بدليل أنها لا تملك من الأمر شيئا [2].

بينما جاء الموضع الثاني في قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾، وهو في سياق تطمين الرسول والمؤمنين من كيد الأعداء، فالله يتولى أمورهم وينصرهم على الأعداء، وهذه الولاية لا ينالها العبد إلى إذا كان من أولياء الله محققًا لكمال الطاعة، مخلصًا في عبادته، متقربًا إلى الله سبحانه وتعالى[3]، وبذلك تكون الآية متناسقة مع موضوع السورة، فلا ينال فضل الله والنجاة من عذابه، والطمأنينة من الخوف والحزن إلا من أخلص ولاءه لله تعالى، وهذا الموضع والسابق مناسبان لقصص السورة، إذ معقل الإيمان وجوهر التوحيد هو الولاء والبراء، إذ يعكسان صدق التوجه إلى الله تعالى.

---

(1) ينظر: المراغي: أحمد بن مصطفى، **تفسير المراغي**، (القاهرة: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي، ط1، 1946م)، ، ج11، ص98.

(2) ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج11، ص79.

(3) ينظر: الخازن، علاء الدين علي بن محمد، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، تصحيح: محمد شاهين، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ) ، ج2، ص451؛ ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج11، ص216.

رابعاً: سورة هود:

"يدور محور سورة هود حول قضية الألوهية، وتثبيت العقيدة في قلوب المدعوين"[1] ولذلك كثر في هذه السورة قصص الأنبياء مع أقوامهم العتاة المتجبرين المتكبرين، ربما من أشدهم قوم عاد، ولذلك سميت بهود حيث بيان إنذارهم بالعذاب الشديد لتعنتهم، وتناولت السورة قصص الأنبياء السابقين مع أقوامهم المتكبرين؛ قصص نوح وهود وصالح ولوط وشعيب؛ والقاسم المشترك في تلك القصص هي دعوة الأنبياء عليهم السلام إلى توحيد الله وعبادته والبراءة من عبادة الأوثان، وتعرض الأنبياء إلى التكذيب والأذى من قبل أقوامهم رغم وضوح الأدلة على توحيد الله[2]، لذلك كان من المناسب ورود موضوع الولاء فيها كونه علامة مؤكدة لإيمان العبد وثباته عليه، وبذلك تناسقت موضوعات السورة المتحدثة عن قصص الأنبياء مع أقوامهم مع موضوع الولاء والبراء، حيث الدعوة إلى توحيد الله وإخلاص الولاء والعبادة لله سبحانه وتعالى، والبراءة من الكافرين وعبادتهم الفاسدة.

وقد ركزت السورة على موضوع الولاء والبراء وذلك من خلال عرضها لقصة نبي الله نوح مع ابنه الكافر، وذلك حينما سأل نبي الله نوح عليه السلام الله عن ابنه الغريق، فجاء الرد من الله ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦٓ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٤٦﴾ [هود:46]، فدلت الآيات على موقف ابن نوح من دعوة أبيه، حيث التمادي في الكفر والإصرار عليه، ويفهم ذلك من قوله : (قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ....)، بالإضافة إلى أن الآيات بينت أن العبرة بقرابة الدين لا قرابة النسب[3]، "وبذلك تكون القصة قد

---

(1) نخبة من العلماء بإشراف مصطفى مسلم، **التفسير الموضوعي لسور القرآن**، ج3، ص452.

(2) ينظر: سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج2، ص108- 109.

(3) ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج18، ص357.

تناسقت مع موضوع الولاء والبراء، حيث أعطت القصة درساً مهماً في الولاء والبراء، فإن الآيات تنفي عن الابن الكافر كونه من أهل نوح النبي، وذلك بسبب كفره وعمله غير الصالح، مع أنه ابنه من صلبه، إلا أن الآيات تقرر مبدأ إيمانيا عظيما، وهو (الولاء والبراء والمفاصلة)، فالمؤمن ولاؤه لله ولأولياء الله من المؤمنين، وإن كانوا بعيدين في النسب والقرابة"[1].

وآية الولاء الصريحة في السورة جاءت في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يَكُونُواْ مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ وَمَا كَانُواْ يُبۡصِرُونَ ٢٠﴾، وهي في سياق الحديث عن المشركين الذين يصدون عن سبيل الله، ومقدمة للحديث عن قصص السورة، حيث الأقوام العتاة المتكبرون، فلا يحسبون أن الله غافل عنهم وعن عقابهم، إنما يؤخرهم إلى أجل مسمى، ولا يظنون أن تلك الآلهة التي عبدوها في الحياة الدنيا قادرة على دفع عذاب الله عنهم، فهي ضعيفة لا تملك من الأمر شيئا[2]، وبذلك تناسقت الآية مع الوحدة الموضوعية للسورة التي تثبت وحدانية الله سبحانه وتعالى، وتناسقت مع اسم السورة حيث الدلالة على بيان حال المتكبرين عن الحق وما أعده الله لهم من عذاب.

وجاء الموضع الأخير في السورة في قوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١١٢ وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ

---

(1) الخالدي: صلاح، **القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث**، (دمشق: دار القلم، ط1، 1998م)، ج1 ، ص203، 204.

(2) ينظر: **الطبري: محمد بن جرير، جامع البيان**، تحقيق: محمود شاكر، (بيروت: **مؤسسة الرسالة، ط1، 2000م**)، ج15، ص285؛ الزمخشري، **الكشاف**، ج2، ص287.

ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾[1]، وهي في سياق النهي عن طاعة الأولياء من الإنس، وهذا ما أكدت عليه الآيات المدنية، آيات آل عمران على وجه التحديد، فإن طاعة الكافرين والركون إليهم مظنة التشتت والضياع، والركون مصطلح يدل على "المحبة والمودة والميل بالقلب والرضا بأعمالهم والمداهنة والطاعة"[2]. ومن هنا ناسب مجيء هذه الآية في خاتمة السورة تعقيبا على فريقي السعداء والأشقياء، ودور الولاء البارز في حسم مسألة الإيمان حيث الاستقامة، وألا يركن المؤمن إلى الظالمين بأي حال.

---

(1) يقول القرطبي إن الآية" لدلالة على هجران أهل الكفر والمعاصي، فإن صحبتهم كفر أو معصية، إذ الصحبة لا تكون إلا عن مودة". القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج9، ص108.

(2) ينظر: الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد، **النكت والعيون**، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت)، ج2، ص508؛ السمعاني، **تفسير السمعاني**، ج2، ص464.

المبحث الثاني: التناسق الموضوعي لآيات الولاء والبراء في سور

يوسف والرعد والنحل والإسراء والكهف ومريم والحج

أولاً: سورة يوسف:

يقول الفراهي في بيان الوحدة الموضوعية للسورة، أن السورة "إشارة إلى قرب الهجرة وتمثيل للفرج بعد اليأس وغلبة الحق"[1].

سورة يوسف من السور النادرة التي تخصصت في قصة نبي واحد، ربما تساعدنا مناسبة نزولها على تلمس لماذا نزلت متكاملة في قصة نبي تعرض لشتى أنواع الابتلاءات، حيث نزلت في ظرف كان فيه نبينا صلى الله عليه وسلم في أشد حالات الشدة، بعد عام الحزن، وصد أهل الطائف له[2]، فكانت رسالة السورة واضحة بأنّ مع العسر يسرا، فهذا نبي أخ لك تعرض لأشد الابتلاءات فصبر فنال.

جاءت آيات الولاء في خاتمة السورة وذلك بما يتناسب مع موضوع السورة حيث أعقب الفرجُ اليأس، في قوله تعالى: ﴿رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ١٠١﴾، والآية في سياق الحديث عن النعم التي أنعم الله بها على نبي الله يوسف، واستحقاقه لولاية الله سبحانه

---

(1) الفراهي، **دلائل النظام**، ص95.

(2) ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج12، ص198؛ الطنطاوي، محمد سيد، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، (القاهرة: دار النهضة، ط1، 1997م) ، ج7، ص300.

وتعالى، وقد ختمت السورة بدعاء يوسف عليه السلام حيث أعلن تضرعه وإنابته إلى الله سبحانه وتعالى، وبالنظر في قصة يوسف عليه السلام نجد أنها تناسقت في عرض موضوع الولاء، فنبي الله يوسف حقق أسمى معاني الاستسلام لحكم الله، والرضى بقضاء الله وقدره[1]، وهي رسالة إلى نبينا صلى الله عليه وسلم وأتباعه في ضرورة تحقيق الولاء الخالص، فهو الطريق إلى النجاة.

ثانيًا: سورة الرعد:

تقوم سورة الرعد على أساس إثبات صدق الرسول ﷺ فيما أوحي إليه من إفراد الله بالإلهية والبعث وإبطال أقوال المكذبين"[2]، والسورة من اسمها تدل على بعض آيات الله المبثوثة الدالة على تصرف الله وحده في هذا الكون، وهو حقيق بالعبادة والتوجه والولاية، سبحانه وتعالى.

جاءت آيات الولاء والبراء في السورة في ثلاثة مواضع، الأول في قوله تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٖ ١١﴾ [الرعد] وهي في سياق إثبات علم الله بدقائق الأمور وعظائمها، ومن تمام علمه، علمه بأحوال العباد: "(إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ) من العافية والنعمة (حَتَّى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ) من الحال الجميلة بكثرة المعاصي"[3]، وفي ذلك دعوة المؤمنين إلى إصلاح حالهم وتغير أنفسهم إلى الخير، والالتزام بالصراط المستقيم، فإن البعد عن

---

(1) الجاوي: محمد بن عمر، **مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد**، تحقيق: محمد أمين الصناوي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1417هـ)، ج1، ص549.

(2) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج13، ص76.

(3) الزمخشري، **الكشاف**، ج2، ص517.

صراط الله وموالاة الأعداء هو السبب فيما يحل بالأمة من ضعف وهزيمة، وقد عقبت الآية: ﴿وَما لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ والٍ﴾، للدلالة على نفي الولاية والنصرة عن الظالمين[1].

وجاء الموضع الثاني في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّاۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾﴾ [الرعد]، والآية في سياق الإنكار على المشركين الذين يتخذون الآلهة من دون الله، مع إقرارهم واعترافهم بأن الله هو خالق السموات والأرض، ففي ذلك حجة على بطلان آلهتهم[2]، وبذلك تكون الآية قد تناسقت مع موضوعات السورة من حيث إثبات ألوهية الله سبحانه وتعالى، وإبطال أقوال المكذبين المتعلقة بالآلهة المعبودة من دون الله.

وجاء الموضع الثالث في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أنزلناه حُكْمًا عَرَبِيًّاۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾﴾ [الرعد]، والآية في سياق الأمر للنبي ﷺ وللمؤمنين بالثبات على الدين وعدم الالتفات والانقياد إلى أهواء الظالمين المفسدين[3]، وختمت الآية بقوله: ﴿مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾، لبيان شدة العقاب المترتب على اتباع أهل الضلال،

---

(1) ينظر: أبو زهرة، محمد بن أحمد، **زهرة التفاسير**، (د.م، دار الفكر العربي، د.ط، د.ت) ، ج7، ص3911.

(2) ينظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج9، ص303؛ ينظر: ابن كثير: إسماعيل بن عمر، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي محمد سلامة، (د.م، دار طيبة للنشر ، ط2، 1999م) ، ج4، ص383.

(3) ينظر: البقاعي، **نظم الدرر**، ج10، ص359؛ الزحيلي: وهبة، **التفسير الوسيط**، (دمشق: دار الفكر، ط1، 1422هـ)، ج2، ص1174.

فمن يتبعهم فما له من "ناصر ولا حافظ"[1] يمنع عنه عذاب الله، وبذلك تكون الآية قد تناسقت مع موضوع السورة الدال على إثبات صدق الرسول صلى الله عليه وسلم فيما أوحي إليه، وبهذا فالآيات جميعا متناسبة مع الوحدة الموضوعية، ومع اسم السورة الدال على استسلام الكون لله الخالق.

ثالثًا: سورة النحل:

تدور موضوعات سورة النحل حول بيان الأدلة على تفرد الله تعالى بالإلهية فهو الخالق المبدع المنعم، والأدلة على فساد دين الشرك وإظهار شناعته، وأدلة إثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم" [2].

وجاءت آيات الولاء والبراء في موضعين:

الموضع الأول في قوله تعالى: ﴿تَٱللَّهِ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٦٣﴾ [النحل]، فالآية في سياق بيان وعيد المكذبين للرسل، وبيان سوء حالهم لأنهم استحبوا ولاية الشيطان وطاعته، "وحسبوا أن الشيطان ينقذهم من العذاب وهو في الواقع يغرهم ويخدعهم ويسوقهم إلى العذاب، فلا تنفعهم ولايته ونصرته" [3].

---

(1) السمعاني، **تفسير السمعاني**، ج3، ص98. ينظر أيضا: البغوي: الحسين بن مسعود، **معالم التنزيل، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 1420هـ)**، ج3، ص323.

(2) البقاعي، **مصاعد النظر**، ج2، ص213.

(3) الزحيلي، **التفسير الوسيط**، ج2، ص1276.

والموضع الثاني في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [النحل]، وهي في سياق بيان سبيل اتقاء وسوسة الشيطان، فإن سبيل ذلك بالإيمان الصحيح والتوكل على الله وحسن الالتجاء إليه، إنما الشيطان يقدر على الذين أشركوا بالله واتخذوا الشياطين أولياء لهم في الطاعة وقبول وسوسته[1]. وبذلك تكون الآيات قد تناسقت مع موضوع السورة المتحدث عن فساد دين الشرك وإظهار شناعته، ومع اسم السورة الدال على إحدى نعمه تعالى، وهي السورة المسماة بسورة النعم، فحقيق بمن أنعم أن يُعبد.

رابعًا: سورة الإسراء:

تدور سورة الإسراء حول "الإقبال على الله وحدة، وخلع ما سواه، لأنه وحده المالك لتفاصيل الأمور، وتفضيل بعض الخلق على بعض، وذلك هو عمل بالتقوى، التي أدناها خلع الأنداد، واعتقاد التوحيد"[2].

جاءت آيات الولاء والبراء في أواخر سورة الإسراء في موضع واحد، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [الإسراء]، في سياق المقارنة بين حال المقبل على الله سبحانه وتعالى وحال من استحب الضلال، فمن أقبل على الله وصدق دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم ووفقه لذلك فهو المهتد، أما من استحب العمى ولم يقبل على الله،

---

(1) ينظر: مكي، **الهداية في بلوغ النهاية**، ج6، ص4085؛ ينظر أيضا: القنوجي، **فتح البيان**، ج7. ص315.

(2) البقاعي، **مصاعد النظر، ج2، ص230.**

وكان موقفه التعنت والتكبر، فإن جزاؤه من جنس عمله، فحينئذ لا يجدون من دون الله وليا وناصرا لهم[1]، "يهدونهم إلى طريق الحق، والنجاة من العذاب"[2]، وبذلك تكون الآية قد تناسقت مع الوحدة الموضوعية للسورة، حيث الدعوة إلى الإقبال على الله وحدة، وخلع ما سواه.

ناسبت هذه الآية موقعها، كما ناسبت موضوع السورة العام حيث دلالة الإسراء على السير ليلاً في طاعة الله، وكذلك دلالة اسم السورة الآخر بني إسرائيل، الذين عاثوا في الأرض فساداً مرتين، حيث إن من صفات المؤمنين في العموم هو الولاء الخالص لله، وهو الناصر وحده لهم في مدافعتهم الباطل.

خامسًا: سورة الكهف:

تدور سورة الكهف حول "العصمة من أمواج الفتن... فتنة السلطان وفتنة الشباب وفتنة الأهل والعشيرة والمال والولد والاغترار بالدنيا الفانية،..."[3]، والتناسق بين محور السورة وبين اسمها واضح، إذ إن (الكهف) يدل على الالتجاء إلى الله تعالى زمنَ الفتن، فقد قارنت السورة بين من حقق الولاء الخالص لله، وبين من ضل عن ولاية الله بسبب فتن الدنيا، وبذلك تناسقت الآيات مع الوحدة الموضوعية للسورة واسمها، فجاء الموضع الأول لآيات الولاء في سياق الحديث عن تحقيق فتية الكهف للولاء الخالص والثبات على الإيمان والفرار من الفتن، ثم بينت السورة ولاية الله لهم، لأنهم من عباده الصالحين، وفي بيان ذلك جاء قوله تعالى: ﴿مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ

---

(1) ينظر: الطبري، **جامع البيان**، ج17، ص559.

(2) أبو السعود، **إرشاد العقل السليم**، ج5، ص196.

(3) مسلم وآخرون، **موسوعة التفسير الموضوعي**، ج4، ص287، 288.

فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرۡشِدٗا ﴿١٧﴾ [الكهف]، فمن سلك طريق الحق كان الله وليه ومرشده، ومن زاغ عن الطريق فلن يجد له من دون الله وليًا يرشده إلى الطريق الحق[1]، وجاء قوله تعالى ليؤكد على ولاية الله لفتية الكهف: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا ﴿٢٦﴾ [الكهف]، فالله يتولى عباده الصالحين بالولاية وتدبير أمورهم[2].

وجاء الموضع الثاني في القصة الثانية، حيث إن الرجلين الذيْن أوتي أحدهما جنتين من أعناب وحفت بالنخل...، في سياق الحديث عن الولاء الفاسد والميل لشهوات الدنيا والاعتماد عليها: ﴿وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٞ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرٗا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلۡوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلۡحَقِّۚ هُوَ خَيۡرٞ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ عُقۡبٗا ﴿٤٤﴾ [الكهف]، فبينت الآيات أن الاغترار بالمال والعشيرة لا يغني شيئًا، وأن الولاية[3] الحقة لله سبحانه وتعالى، فهو الذي يتولى عبادة المؤمنين بالنصر والتمكين[4].

---

(1) ينظر: النيسابوري: الحسن بن محمد، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، تحقيق: زكريا عميرات، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1416هـ) ،ج4، ص407؛ 409.

(2) ينظر: السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، ص372.

(3) ورد في قرائة كلمة (الولاية) قراءتان، قراءة الجمهور بفتح الواو(الوَلاية)، أي هنالك النصرة من الله عز وجل ينصر أولياؤه ويعزهم ويكرمهم، وقراءة حمزة والكسائي بكسر الواو (الوِلاية)، أي السلطان والقدرة لله سبحانه وتعالى (انفراد الله بالملك والسلطان). ينظر: أبو زرعة، **حجة القراءات**، تحقيق سعيد الأفغاني، (دار الرسالة)

(4) ينظر: أبو حيان، **البحر المحيط**، ج7، ص181، 182.

ثم جاء الموضع الثالث في سياق التحذير من عداوة الشيطان: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۚ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢۚ بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا ٥٠﴾ [الكهف]، وهي تصور الحالة الدائمة من عداوة إبليس للإنس، فإن الميل لطاعة الشيطان يوجب الضلال عن الحق، لذلك نهت السورة عن اتباع خطوات الشيطان بعد أن بينت عداوته للمؤمنين، فإن "عداوة الشيطان ينبغي أن تكون موجبة للإدبار عنه"[1].

وختمت السورة ببيان بطلان سائر المعبودات وأنها لا تنفع عابديها، وأن أولياء الله هم في كنفه: ﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِي مِن دُونِيٓ أَوۡلِيَآءَۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ نُزُلًا ١٠٢﴾.

سادسًا: سورة مريم:

سميت هذه السورة باسم السيدة مريم العذراء أم المسيح عليه السلام، وتناولت السورة قصة ولادة عيسى عليه السلام، وتولت الرد على النصارى المشركين الذين نسبوا لله الولد. كما تحدثت السورة عن قصص بعض الأنبياء وذلك لإثبات دعوة الرسل إلى توحيد الله، والرد على المشركين المنكرين للتوحيد والبعث، وذلك ببيان بطلان آلهتهم المعبودة من دون الله[2]، وبذلك تناسق اسم السورة مع موضوعاتها، وجاءت آيات الولاء والبراء في موضع واحد في السورة، وهي في سياق الحديث عن محاجة نبي الله إبراهيم لأبيه: ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ٤٤ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ٤٥﴾ [مريم] فسياق الآيات يبين موقف

---

(1) البقاعي، **نظم الدرر**، ج12، ص74.

(2) ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج21، ص223.

نبي الله ولطفه وخوفه على والده من الضلال والضياع، فدعاه إلى عبادة الله وحده، ونهاه عن اتخاذ الشيطان وليًا وذلك بطاعته فيما يدعو إليه من شرك بالله، حتى لا يكون وليًا للشيطان وقرينًا له في النار[1]، وبذلك تناسقت قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام مع موضوع الولاء، حيث بينت القصة الدور الإصلاحي ودعوة نبي الله إبراهيم إلى توحيد الله وإخلاص الولاء لله سبحانه وتعالى، والبراءة من عبادة الشياطين، فلما رفض القوم دعوة نبي الله إبراهيم وأصروا على الكفر، اعتزلهم وما يعبدون من دون الله، وبذلك تتحقق المفاصلة على أساس الدين، ومما يؤكد موقف إبراهيم عليه السلام وبراءته من الكافرين ما جاء في قصته في سورة الممتحنة[2]، حيث أشارت الآيات إلى موقف إيماني عظيم (البراءة من الكافرين واعلان العداوة والبغضاء) [3].

سابعًا: سورة الحج:

سورة الحج مختلف في مكيتها أو مدنيتها[4]، ويغلب عليها الطابع المكي، ولذلك أدرجتها هنا، "فموضوع الإيمان والتوحيد والإنذار والتخويف، وموضوع البعث والجزاء ومشاهد القيامة وأهوالها هو البارز في السورة الكريمة، هذا إلى جانب الموضوعات التشريعية والإذن بالقتال ومسائل الحج

---

(1) ينظر: أبو حيان، **البحر المحيط**، ج7، ص269.

(2) سيتم دراسة آيات سورة الممتحنة في الفصل الرابع، ص 154.

(3) ينظر: الخالدي، القصص القرآني، ج1، ص307– 310.

(4) لمزيد بيان ينظر: ابن الجوزي، **زاد المسير**، ج3، ص 220؛ **الجامع لأحكام القرآن**، ج12، ص1.

والهدي والأمر بالجهاد..." [1]، وهي من اسمها تدل على مظهر من مظاهر التوحيد والعبادة والاستسلام لله سبحانه وتعالى[2].

وجاءت آيات الولاء والبراء في موضعين؛ الموضع الأول في سياق بيان أحوال الناس: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ۝٨ ... وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ ... ۝١١ يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ۝١٢ يَدۡعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقۡرَبُ مِن نَّفۡعِهِۦۚ لَبِئۡسَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَلَبِئۡسَ ٱلۡعَشِيرُ ...، فبينت الآيات حال الفئة الأولى وهم دعاة الضلال والأئمة الذين يجادلون في توحيد الله، أما الفئة الثانية فهي الفئة التي تعبد الله وهي في حالة الشك والتردد، فتارة تعبد الله، وتارة تتخذ من دون الله آلهة، وقد وصفت الآية هذه الآلهة بأنها: (لَبِئْسَ الْمَوْلى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ)، وذلك لتسفيه الكافرين في عبادتهم، "لأن شأن المولى جلب النفع، وشأن العشير جلب الخير"[3]، وذلك منتفٍ في الآلهة، وبذلك تكون الآية متناسقة مع موضوع السورة الذي يدور حول الإيمان والتوحيد والإنذار، ووجه ارتباط الآية باسم السورة يظهر في دعوة العباد إلى إخلاص العبادة والاستسلام لله سبحانه وتعالى، والتبرؤ من الآلهة التي لا تنفع شيئاً.

وجاء الموضع الثاني في ختام السورة وذلك في قوله تعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا

---

(1) مسلم وآخرون، موسوعة التفسير الموضوعي، ج5، ص76.

(2) ينظر: عرفات: عمر علي، **دلالة أسماء السور القرآنية على محاورها وموضوعاتها**، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 2018م)، ص247.

(3) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج17، ص216.

لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٧٨ ﴾ [الحج]، وذلك في سياق الأمر للمؤمنين بتحقيق الإيمان الصحيح الكامل، حتى يحقق المؤمن الإخلاص في العبادة والذل والخضوع لله، وختمت الآية بقوله تعالى: (هُوَ مَوْلاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلى وَنِعْمَ النَّصِيرُ)، للدلالة على ولاية الله سبحانه وتعالى لعبادة المؤمنين بالنصر وإصلاح أمورهم[1]، وبذلك تكون الآية متناسقة مع موضوع السورة الذي يدور حول الإيمان والتوحيد، فمن لوازم تحقيق الإيمان الصحيح إخلاص الولاء لله سبحانه وتعالى.

وبهذا أيضا يتضح تناسق الآيتين مع موضوعات السورة، ومع اسمها.

---

(1) ينظر: ابن عجيبة: أبو العباس أحمد بن محمد المهدي، **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي، (القاهرة: الدكتور حسن عباس زكي، د.ط، 1419هـ)، ج3، ص557؛ الخطيب، **التفسير القرآني للقرآن**، ج9، 1103.

المبحث الثالث: التناسق الموضوعي لآيات الولاء والبراء في سور الفرقان، الشعراء، العنكبوت، السجدة، سبأ، الزمر، فصلت، الشورى، الدخان، الجاثية، الأحقاف، الكافرون

أولاً: سورة الفرقان:

"محور سورة الفرقان هو القرآن باعتباره معجزة رسول الله صلى الله عليه وسلم ودليل صدقه"[1]، وبذلك اهتمت السورة ببيان شرف الرسول صلى الله عليه وسلم وشرف القرآن، والمقارنة بين أولياء الشيطان الجاحدين الذين أثاروا الشبهات حول القرآن والرسول صلى الله عليه وسلم، وبين عباد الرحمن، ومن هنا جاء تسمية السورة بالفرقان، للدلالة على أن القرآن يفرق بين الحق والباطل[2].

وجاءت الآية في موضع واحد في السورة، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنْۢبَغِي لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُواْ ٱلذِّكْرَ وَكَانُواْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾﴾، وهي في سياق تبرؤ الآلهة من عابديها يوم القيامة، وتنزيه الله سبحانه وتعالى عن الأنداد، فإن الآلهة التي عبدها الكافرون أثبتت ولاءها لله سبحانه وتعالى، وتبرأت من عبادة المشركين[3]،

---

(1) مسلم وآخرون، **موسوعة التفسير الموضوعي**، ج5، ص264.

(2) ينظر، البقاعي، **مصاعد النظر**، ج2، ص317؛ المأمون، **تفسير المأمون**، ج5، ص394.

(3) الإيجي: محمد بن عبد الرحمن، **جامع البيان في تفسير القرآن**، (بيروت: دار الكتب العلمية،ط1، 2004م)، ج3، ص149.

وبذلك تكون السورة قد فرقت وبينت بين الحق والباطل، بين عبادة الكافرين وبين عبادة الصالحين، وفي ذلك تناسق مع اسم السورة وموضوعها.

ثانيًا: سورة الشعراء:

جاءت سورة الشعراء لتبين "أن هذا الكتاب بين في نفسه بإعجازه أنه من عند الله، مبين لكل ملتبس "[1]، وجاءت آيات البراء في موضع واحد وذلك في ختام السورة، في قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ٢١٤ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢١٥ فَإِنۡ عَصَوۡكَ فَقُلۡ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ٢١٦﴾، فالآيات السابقة تحدثت عن نزول القرآن من عند الله تعالى، وبينت صدقه، وأنكرت على المشركين الذين حاولوا إبطال صدق القرآن وأثاروا الشبهات حوله، ولا جرم أن ذلك اقتضى ثبوت ما جاء به القرآن، وأصل ذلك هو إبطال دين الشرك الذي تقلدته قريش وغيرها[2]، فجاءت الآيات لتبين دعوة النبيﷺ لقومه، ولعشيرته وتحذيرهم من عذاب الله قائلةً: "فإن عصتك يا محمد عشيرتك الأقربون الذين أمرتك بإنذارهم وأبوا إلا الإقامة على عبادة الأوثان والإشراك بالرحمن، فقل لهم: (إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ)، أي من عبادة الأصنام ومعصية بارئ الأنام "[3]، وبذلك تناسقت الآية مع الوحدة الموضوعية للسورة فما جاء به الفرقان يزيل كل لبس، والعبرة بمن انتفع وسار على الطريق المستقيم.

---

(1) البقاعي، **مصاعد النظر**، ج2، ص326.

(2) ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج19، ص201.

(3) الطبري، **جامع البيان**، ج19، ص404.

ثالثًا: سورة العنكبوت:

يدور محور السورة حول بيان سبيل الحماية من الوقوع في الفتن، والثبات وقت الابتلاءات والشدائد، وذلك بإخلاص القصد لله وتقوية الإيمان في النفوس[1]، وعرضت السورة لحال الكافرين الذين أعرضوا عن الله واستحكمت عليهم الفتن حتى وقعوا في الضعف والهوان، ومن هنا جاءت تسمية السورة بالعنكبوت، "فهي سورة ضعف الكافرين وقوة المؤمنين"[2].

جاء الموضع الأول في سياق الحديث عن قصة إبراهيم عليه السلام ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًاۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُواْ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأٓخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحْمَتِي وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ **[العنكبوت]**، فقد أشارت الآيات إلى دعوة إبراهيم قومه لعبادة الله وحده، وذلك بعد أن بين لهم بطلان الآلهة

---

(1) ينظر: الزحيلي، **المنير**، ج20، ص181.

(2) البقاعي، **نظم الدرر**، ج14، ص384.

التي يعبدونها من دون الله فهي آلهة لا تضر ولا تنفع، لا تستطيع جلب الرزق[1]، ثم ختمت الآيات ببيان قدرة الله سبحانه وتعالى وأنه لا يعجزه شيء في السموات والأرض، وبذلك تقرر بطلان الآلهة، وبذلك تناسقت القصة مع موضوع الولاء والبراء، وذلك من خلال دعوة إبراهيم عليه السلام إلى توحيد الله تعالى، والبراءة من عبادة قومه الباطلة[2].

أما الموضع الثاني في قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٤١﴾ [العنكبوت]، فالآية في سياق وصف حال المشركين الذين اتخذوا الأولياء من دون الله قاصدين بذلك طلب الحماية وتيسير أمور حياتهم، وهم في هذا التعلق وبناء أمورهم على تلك الآلهة، كمثل العنكبوت التي سعت إلى بناء مأوى يحميها من الظروف المحيطة بها، إلا أن بيتها لا يغني شيئا[3]، ومن هنا تناسقت الآية مع محور السورة واسمها، فسبيل اتقاء الفتن اخلاص القصد لله سبحانه وتعالى.

رابعًا: سورة السجدة:

اهتمت سورة السجدة ببيان الأدلة على وحدانية الله سبحانه وتعالى، وإثبات البعث والجزاء، وقد قارنت بين المؤمنين الخاضعين لله سبحانه وتعالى وما أعده لهم من جزاء، وجزاء الكافرين الجاحدين[4]، وجاء موضوع الولاء في موضع واحد في السورة، في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ

---

(1) ينظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج3، ص447.

(2) ينظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج4، ص311.

(3) ينظر: السمرقندي، **بحر العلوم**، ج2، ص 634؛ ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج4، ص318.

(4) ينظر: الطنطاوي، **الوسيط**، ج11، ص140؛ مسلم، مصطفى، وآخرون، **التفسير الموضوعي**، م 6، ص49.

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا شَفِيعٍۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝٤﴾، فالآية وإن كانت في سياق نفي الشفاعة عن الآلهة المعبودة والإنكار على المشركين تعلقهم بالآلهة وطلب الشفاعة والنصرة منهم[1]، إلا أنها "تقرر الألوهية لله سبحانه وتعالى، فلا إله غير الله، ولا نصرة من غير الله، ولا شفاعة إلا بإذن الله"[2].

ناسب موضوع الولاية هنا اسم السورة حيث السجدة الدالة على الخضوع، وكذلك موضوعها الذي يؤكد وحدانية الله، ومن توحيده اتخاذه وليا، فهو الناصر والشفيع سبحانه.

خامسًا: سورة سبأ:

تناولت السورة الحديث عن "الرسالة والساعة"[3]، فتحدثت عن موقف المنكرين من ذلك، ثم عن قصة داود وسليمان عليهما السلام، وكيف حققا الطاعة التامة لله سبحانه وتعالى، ومن طاعتهما إتباع الشكر بالعمل الصالح، وفي المقابل تحدثت السورة عن مملكة سبأ وما كان من مقابلتهم نعم الله بالكفر والجحود والإعراض عن الله، فكان جزاؤهم التفرق والشتات[4]، وجاءت آيات الولاء والبراء في السورة في موضع واحد في قوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ يَقُولُ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ۝٤٠ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّۖ أَكۡثَرُهُم بِهِم مُّؤۡمِنُونَ ۝٤١﴾ [سبأ]، والآية في سياق تبرؤ الملائكة من عابديها، وتنزيه الله عن الشرك، فالملائكة أثبتت ولايتها

---

(1) ينظر: السمعاني، **تفسير القرآن**، ج2، ص107؛ ابن الجوزي، **زاد المسير في علم** التفسير، ج2، ص31.

(2) الحنبلي، **اللباب في علوم الكتاب**، ج15، ص 474.

(3) طهماز: عبد الحميد، **التفسير الموضوعي لسور القرآن**، (دمشق: دار القلم، ط2، 2014م)، ج7، ص4.

(4) ينظر: طهماز، **التفسير الموضوعي**، ج7، ص4؛ الطنطاوي، **الوسيط**، ج11، ص259.

لله سبحانه وتعالى بالعبادة والطاعة، والكافرين أثبتوا ولايتهم للشيطان عندما اتبعوه فيما يوسوس إليهم من الشرك بالله والضلال[1]، وكأن الآية تفصيل للنموذجين، النموذج المحقق الولاء لله سبحانه وتعالى، والنموذج المعرض عن الله.

ولا يبعد أن تنعكس موضوعات السورة على اسمها (سبأ)، وكأنها تذكر بعوامل بقاء الأمم أو اندثارها، ومن عوامل بقائها مع التوحيد هو هذا الولاء الخالص لله تعالى.

سادسًا: سورة الزمر:

يدور مقصد سورة الزمر حول "عقيدة التوحيد بإسهاب حتى لتكاد تكون هي المحور الرئيس للسورة الكريمة"[2]، وسورة الزمر من اسمها، تدل على إثبات البعث والجزاء، حيث بينت الجزاء العادل لكلا الفريقين يوم القيامة؛ زمرة المؤمنين وزمرة الكافرين، وذلك بعد بيان الحجة، وبعد أن أمرت السورة بتوحيد الله وإخلاص العبادة والقصد لله سبحانه وتعالى[3]، وقد جاءت آيات الولاء والبراء في صدر السورة، في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ۝٣﴾ [الزمر]، وهي في سياق الدعوة إلى "عبادة الله وحده، وهذا جرى تثبيتاً للتوحيد، ونفياً للشرك"[4]، فبينت الآية موقف زمرة

---

(1) ينظر: أبو السعود، **إرشاد العقل السليم**، ج7، ص137.

(2) مسلم وآخرون، **موسوعة التفسير الموضوعي**، ج6، ص479.

(3) ينظر: البقاعي، **مصاعد النظر**، ج2، ص423.

(4) الزجاج، **معاني القرآن وإعرابه**، ج4، ص344.

المؤمنين المتمثل في إخلاص الولاء لله سبحانه وتعالى بعبادته وحده، والتبرؤ من الشرك والمشركين، وبينت موقف زمرة الكافرين المتمثل في اتخاذ الأنداد وإخلاص القصد لها بهدف التقرب من الله، وهو هدف باطل.

سابعًا: سورة فصلت:

اهتمت سورة فصلت بالتوحيد والنبوة، وقد سلكت السورة في إثبات وحدانية الله والرد على المشركين بذكر أدلة تدل على عظمة الله، وسلكت في إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بذكر شرف القرآن وأنه لا يأتيه الباطل [1]؛ لذلك ناسبت السورة أن تذكر موقف المؤمنين والكافرين من اتباع الحق الذي جاء به القرآن، فتمثل موقف الكافرين الجاحدين: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ... ﴿٢٥﴾﴾.

ثم عقبت السورة بموقف المؤمنين الثابتين على الإيمان من توحيد وعمل صالح وثبات على الحق: فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾﴾، فتبين الآيات أهمية الولاء والنتيجة المترتبة عليه، فالكافرون معرضون عن الحق، متبعون للشيطان حتى أصبحوا قرناء لهم، بينما اتبع المؤمنون الحق وثبتوا عليه، فكان جزاؤهم ولاية الله والملائكة لهم في الحياة الدنيا وفي الآخرة[2].

---

(1) ينظر: الطنطاوي، **الوسيط**، ج12، ص323.

(2) ينظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج4، ص153؛ السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، ص747.

فالعلاقة بين اسم السورة وموضوع الولاية متحققة، حيث يربي هذا القرآن ويعزز هذه الولاية الخالصة لله تعالى، وبها يكون الفوز في الدارين.

ثامنًا: سورة الشورى:

يدور مقصد السورة حول "التوحيد والقيامة وضرورة النبوة ووعد النصر"[1]، ولعل اسم السورة يدل على مضمونها العام، حيث المعالم الرئيسة التي تعزز مفهوم أمة الشورى والتي تعد من أهم مقومات النصر، والموضع الأول لموضوع الولاء جاء في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيۡهِمۡ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ ٦ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ ٧ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ٨ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡوَلِيُّ وَهُوَ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٩﴾ [الشورى]، فالآيات في سياق بيان من استحب الكفر واتخذ الأنداد من دون الله، فلا يحسبوا أن تلك الآلهة تدفع عنهم العذاب، بل الله محاسبهم على أعمالهم، وفي ذلك تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم، وفي نفس السياق بينت الآيات تفرد الله بالقدرة على إحياء الموتى، وهذا مما لا تملكه تلك الآلهة المعبودة من دون الله، فإن تقرر ذلك فالله هو الحقيق بالولاية والعبادة دون الأولياء[2]، وفي سياق بيان تفرد الله

---

(1) الفراهي، **دلائل النظام**، ص97.

(2) ينظر: أبي زمنين: محمد بن عبد الله عيسى، **تفسير القرآن العزيز**، تحقيق: حسين عكاشة؛ محمد مصطفى، (القاهرة: الفاروق الحديثة، ط1، 2002م)، ج4، ص162؛ الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج27، ص147؛ 149.

واختصاصه بالنعم الجليلة، جاء قوله تعالى:﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلۡوَلِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٢٨﴾، وفائدة ذكر صفتي (الولي) (الحميد) في سياق إغاثة الناس بالمطر لبيان تفرد الله سبحانه وتعالى ووحدانيته، وإثبات بأن الله هو الولي المستحق للعبادة دون الأنداد[1]، وذلك "لأن الولي يحسن إلى مواليه، والحميد يعطي ما يحمد عليه"[2]، وبذلك تكون الآيات قد تناسقت مع الوحدة الموضوعية للسورة، والتي تقرر عقيدة التوحيد، فالآيات بينت تفرد الله بإحياء الموتى والقدرة التامة وإنزال المطر...، وفي إثبات ذلك، إثبات بأن الله هو الولي.

وجاء الموضع الثاني في السورة: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٤٢ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ٤٣ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيّٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ يَقُولُونَ هَلۡ إِلَىٰ مَرَدّٖ مِّن سَبِيلٖ ٤٤... وَمَا كَانَ لَهُم مِّنۡ أَوۡلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ٤٦﴾ [الشورى]، والآية في سياق المقارنة بين المؤمنين والظالمين، فالمؤمنون يتقون الله ولا يظلمون الناس، فإذا انتصروا لأنفسهم انتصروا بالعدل، وفي المقابل بينت الآيات موقف الظالمين واعتدائهم على حرمات الله والناس، فهؤلاء الظالمون ما لهم من ولي يدفع عنهم عذاب الله يوم القيامة، ولا نصير ينصرهم[3].

---

(1) ينظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج5، ص63؛ ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج25، ص96.

(2) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج25، ص96.

(3) ينظر: المراغي، **تفسير المراغي**، ج25، ص58.

تاسعًا: سورة الدخان:

يدور محور السورة حول "التوحيد والقيامة وضرورة النبوة ووعد النصر"[1]، وسورة الدخان من اسمها دليل على علامة إهلاك المكذبين[2] المنكرين للقرآن والبعث والجزاء، وجاءت آيات الولاء والبراء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٤٠ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۝٤١﴾، فالآية في سياق بيان أهوال يوم القيامة وجزاء الكافرين المترتب على تكذيبهم وإعراضهم، فبينت الآية موقفهم بأنهم لا يملكون نصيرًا ولا قريبًا يدفع عنهم العذاب، وعبرت الآية بالمولى للدلالة على النفي التام؛ فإن القريب والنسيب والحميم الذين هم مظنة النصرة والشفاعة في الحياة الدنيا، تنقطع نصرتهم يوم القيامة[3]، وبذلك تتناسق الآية مع موضوع السورة واسمها، فإن الإعراض عن الحق وعدم الانتفاع بما جاء في القرآن موجب للهلاك في الدنيا والآخرة[4].

عاشراً: سورة الجاثية:

موضوع السورة بيان حكمة الله في إنزال الكتاب المتضمن للشريعة، ثم بينت السورة موقف الكافرين المعاندين المكذبين، ثم بينت موقف المؤمنين الثابتين على الشريعة المتحررين من

---

(1) الفراهي، **دلائل النظام**، ص97.

(2) ينظر: البقاعي، **مصاعد النظر**، ج 2، ص471.

(3) ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج27، ص251، 252؛ النيسابوري، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، ج6، ص106.

(4) البقاعي، **مصاعد النظر**، ج2، ص471.

الأهواء[1]، وجاء موضوع الولاء والبراء في موضعين في السورة ليدلا على الموقفين، ويتناسقا مع موضوع السورة:

فالموضع الأول في السورة ورد في سياق الحديث عن الكافرين المستكبرين المصرين على الكفر، المستهزئين بآيات الله، وعقبت الآيات بما ينتظر هذه الفئة من عذاب: ﴿مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُم مَّا كَسَبُواْ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾﴾، ومن شدة عذابهم فإن الآية قد نفت عنهم نفع الأموال والأولاد، ونفع الآلهة في دفع عذاب الله عنهم، وفي ذلك بيان لشدة إهانتهم وخذلانهم يوم القيامة[2].

وجاء الموضع الثاني في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ لَن يُغْنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾﴾، وهي في سياق الأمر للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالثبات على الدين والإعراض عن أهواء الظالمين، وقد بينت الآية أن اتباع الظالمين يوجب الانضمام إلى حزبهم، فلا يواليهم إلا من كان مقتنعًا ومنسجمًا معهم، وأثبتت ولاية الله للمؤمنين الذين التزموا بتقوى الله وحققوا الولاية التامة لله بالطاعة والعبادة والثبات على الدين والبراءة من الظالمين[3].

---

(1) ينظر: **مصاعد النظر**، ج2، ص476.

(2) ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، ج25، ص333.

(3) ينظر: الإيجي: محمد بن عبد الرحمن **جامع البيان**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2004م)، ج4، ص14؛ أبو السعود، **إرشاد العقل السليم**، ج8، ص71؛ إسماعيل حقي الخلوتي، **روح البيان**، ج8، ص444.

الحادي عشر: سورة الأحقاف:

يدور مقصد سورة الأحقاف إنذار الكافرين وهلاكهم بسبب تنكبهم عن الصراط، ومن هنا جاءت تسمية السورة بالأحقاف حيث الدلالة على العقاب الذي حل بقوم هود عليه السلام بسبب كفرهم، وعبادتهم ما لا ينفع ولا يضر شيئًا[1]، وجاءت آيات الولاء في موضع واحد في السورة في قوله تعالى: ﴿يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُجِرۡكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ٣١ وَمَن لَّا يُجِبۡ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيۡسَ بِمُعۡجِزٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَيۡسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءُۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٣٢﴾، وهي في سياق الحديث عن مؤمني الجن ودورهم الإصلاحي في دعوة قومهم إلى التوحيد، ثم عقبت الآية بالإنذار لمن لم يؤمن بأنه: (وَلَيۡسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءُۚ)، وذلك لاستحالة نجاتهم من عذاب الله والهرب من عقابه، واستحالة نصره الأولياء لعابديها[2]، وبذلك ناسب الحديث عن الآية في هذه السورة التي تحدثت عن إنذار الكافرين وعقابهم بسبب ضلالهم.

الثاني عشر: سورة الكافرون:

يدور محور سورة الكافرون حول "تقرير التوحيد والبراء من الشرك والكفر والضلال ومن أعمال المشركين، والإخلاص في العمل لله تبارك وتعالى"[3]، فالسورة بأكملها جاءت للمفاصلة بين

---

(1) ينظر: الغرناطي، **البرهان في تناسب السور**، ص165؛ البقاعي، **مصاعد النظر**، ج2، ص480.

(2) ينظر: القيسي: مكي بن أبي طالب، **الهداية إلى بلوغ النهاية**، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا– جامعة مكي بن الشارقة، إشراف: الشاهد البوشيخي، (مجموعة بحوث الكتاب والسنة: كلية الشريعة والدراسات الإسلامية: جامعة الشارقة، ط1، 2008م)، ج11، ص6868.

(3) مصطفى مسلم وآخرون، **التفسير الموضوعي لسور القرآن**، ج9، ص405.

المسلمين وغيرهم في العبادة التي أمر الله بها، والبراءة من عبادة المشركين، وقد نزلت السورة عندما عرض المشركون على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعبدوا الله سنة، على أن يعبد نبي الله صلى الله عليه وسلم آلهتهم سنة، فأنزل الله معرفة جوابهم في ذلك[1]: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ۝٢ ..... ﴾ إلى آخر السورة.

بدأت السورة بنداء للكافرين (قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ)، وفي وصفهم بالكافرين تحقير لهم وتأييد لوجه التبرؤ منهم[2]، ولما كان القصد إعلام الرسول للمشركين بالبراءة منهم، بدأ بالبراءة من جهته صلى الله عليه وسلم فقال تعالى: (لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ)، أي لا تحصل مني عبادتي ما تعبدون في أزمنة المستقبل...، ولما بدأ بما هو الأحق بالبداءة وهو البراءة من الشرك، ولما أخبر عن حال الرسول صلى الله عليه وسلم بالبراءة من معبودات المشركين في الحال والمستقبل، وكان المشركون يعبدون الله تعالى على وجه الإشراك، وكانت عبادتهم غير معتد بها، نفت الآية عبادتهم[3] فقال تعالى في سبيل النفي: (وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ).

ولما كان الشرك المنفي عن النبي ﷺ لا يدخل فيه الماضي قال تعالى: (وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ)، أي لم تعهد مني عبادة الأصنام في الجاهلية، فكيف ترجون مني عبادتها في الإسلام، ثم ختمت السورة الكريمة بموقف عقدي يدل على البراءة من الشرك والمشركين (لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ).

---

(1) الطبري، **جامع البيان**، ج24، ص661.

(2) ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج30، ص518.

(3) البقاعي، **نظم الدرر**، ج22، ص304، 305، 307.

وبذلك تكون السورة قد تناولت موضوع الولاء والبراء، وإخلاص الولاء والعبادة لله سبحانه وتعالى، فلا تصح العبادة لله سبحانه وتعالى ما دامت مقترنة بالشرك، والجانب الآخر الذي ركزت عليه السورة ضرورة البراءة من الشرك والمشركين والثبات على الدين.

الفصل الثاني: التناسق الموضوعي لآيات الولاء والبراء في سور البقرة وآل عمران والنساء

المبحث الأول: التناسق الموضوعي لآيات الولاء والبراء في سورة البقرة

المبحث الثاني: التناسق الموضوعي لآيات الولاء والبراء في سورة آل عمران

المبحث الثالث: التناسق الموضوعي لآيات الولاء والبراء في سورة النساء

المبحث الأول: التناسق الموضوعي لآيات الولاء والبراء في سورة البقرة

المطلب الأول: مدخل إلى سورة البقرة:

أولاً: نبذة عن السورة، وآيات الولاء والبراء فيها:

سورة البقرة مدنية بالاتفاق، وتدور السورة حول بيان سمو هذا الدين، وبيان شرائع هذا الدين بما فيه من صلاح للفرد والمجتمع[1]، تلك الشرائع التي ميزت أمة محمد ﷺ، كما أن السورة حددت صفات المؤمنين والمنافقين والكافرين، ولم تغفل السورة موضوع الولاء والبراء؛ فأحصيت المواضع التي ورد فيه الولاء والبراء فوجدتها خمسة مواضع: الموضع الأول قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١٠٦ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ١٠٧﴾، والثاني قوله تعالى: ﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ١٢٠﴾.

أما الموضع الثالث فجاء في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ ...﴾ [البقرة:165]، والموضع الرابع في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ ...﴾ [البقرة: 257]، والموضع الأخير في آخر السورة: ﴿أَنْتَ مَوْلانا فَانْصُرْنا عَلَىٰ الْقَوْمِ الكافِرِين﴾ [البقرة: 286].

---

(1) ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج1، ص203.

يذكر غالب المفسرين أنها سميت بالبقرة لانفرادها بذكر قصة بني إسرائيل والبقرة، والتي تعكس عدة قضايا منها الحرص على نقاء العقيدة وعدم تقديس أي معبود؛ ولكن من خلال النظر في أحداث القصة يظهر لنا موقف بني إسرائيل من هذا الأمر؛ حيث جمعوا بين التردد في تنفيذ أمر الله والاستهزاء بنبي الله موسى عليه السلام، وهذا واضح من كثرة أسئلتهم، وتشديدهم على أنفسهم، وهذه الصفات التي اتصف بها بنو إسرائيل ليست من صفات أهل الصراط المستقيم الذين يحققون أسمى معاني الطاعة والعبادة[1]. ويمكن أن نضيف بأن اختيار اسم (البقرة) تحديدًا دون أي اسم آخر مما له علاقة بقصة بني إسرائيل في هذه السورة، خاصة بعد أن ذكر الله خلق آدم وتكريمه، وموضوع الخلافة، فكأن الله تعالى يريد أن يبين أن من أهم مؤهلات أمة الخلافة هو الطاعة الفورية والانقياد والاستسلام لله، لا التردد والاحتيال، فاستحقوا الاستبدال فما عادوا أهلا للتفضيل[2].

ثانياً: التناسق بين الوحدة الموضوعية للسورة واسمها:

تناول العلماء الوحدة الموضوعية لسورة البقرة بشيء من التفصيل[3]، ويمكن إجمال ذلك بالقول: إن محور السورة يدور حول مقومات شرف أمة محمد ﷺ، والتزامها بالصراط المستقيم، فكان الإعداد

---

(1) ينظر: الغرناطي: أحمد بن إبراهيم بن الزبير، **البرهان في تناسب سور القرآن**، تحقيق: سعيد بن جمعة، (الرياض: دار ابن الجوزي، ط1، 1428هـ)، ص86. ينظر أيضا: البقاعي، **نظم الدرر**، ج2، ص150.

(2) ينظر: نخبة من العلماء، المختصر في تفسير القرآن الكريم، (الرياض: مركز تفسير للدراسات القرآنية، ط3، 1436هـ)، ج1، ص2.

(3) قال ابن عاشور في بيان أغراض السورة، تنقسم السورة إلى قسمين: قسم يثبت سمو هذا الدين...، وقسم يبين شرائع هذا الدين... ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج1، ص203. وقال صاحب النبأ العظيم: معظم أغراض السورة تدور حول: "دعوة الناس إلى اعتناق الإسلام، دعوة أهل الكتاب إلى ترك باطلهم،

لهذه الأمة التي ستخلف بني إسرائيل، والتي تتصف بصفات ومميزات أهلتها لحمل الخلافة: إخلاص الولاء لله سبحانه وتعالى والبراءة من الشرك وأهله، وما ينعكس على هذا الولاء من استسلام لله سبحانه وتعالى، وطاعته دون تردد وتلكؤ، ومن ثم انعكاس ذلك على منظومة التشريعات التي كلف الله بها أمة الخلافة، ومن ناحية أخرى فإن سورة البقرة نزعت شرف الخلافة من بني إسرائيل بسبب كفرهم وعنادهم وتلكئهم في تنفيذ أوامر الله سبحانه وتعالى، ومن أوضح الأمثلة الدالة على هذه الشخصية ما جاء في قصة ذبح البقرة[1]، ثم ما جاء في قصة طالوت مع بني إسرائيل.

المطلب الثاني: التناسق بين آيات الولاء والبراء في سورة البقرة، وبين الوحدة الموضوعية للسورة واسمها:

بالاستناد إلى ما تم ذكره سابقاً حول التناسق بين الوحدة الموضوعية للسورة واسمها، وبناء على ما ذكرته حول دلالة اسم السورة من بيان مقومات أمة الخلافة، أذكر في هذا المطلب علاقة هذا التناسق بآيات الولاء والبراء في السورة وأقول:

من مقومات ومميزات أمة الخلافة الحرص على نقاء العقيدة من الشرك، وتحقيق الولاء والبراء، وذلك لا يتحقق إلا بإخلاص الولاء لله سبحانه وتعالى وتوحيده وعبادته والاستسلام لأمره دون تردد،

=عرض شرائع الدين، ذكر الوازع الديني الذي يبعث على ملازمة تلك الشرائع"، دراز، **النبأ العظيم**، ص 163.

(1) ينظر: قطب، **في ظلال القرآن**، ج1، ص27،28؛ نخبة من علماء التفسير إشراف مصطفى مسلم ، **التفسير الموضوعي لسور القرآن**،ج1، ص40؛ عرفات، **دلالة أسماء السور القرآنية على محاورها وموضوعاتها** ص29.

أو تعنت كما فعل بنو إسرائيل مع موسى عليه السلام في قصة البقرة. والبراءة من الشرك والأنداد، فلا نوالي غير الله.

ومن هنا تناسقت آيات الولاء والبراء في عرض مقومات أمة الخلافة، فجاء الموضع الأول: ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ١٠٧﴾، والثاني: ﴿ وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ١٢٠﴾، للتأكيد على أن الله هو الولي والنصير القائم بأمر المسلمين المؤيد والمقوي لهم على أعدائهم[1]، وفي ذلك دعوة للمؤمنين بإخلاص الولاء لله سبحانه وتعالى وتنقية العقيدة، وتسليم الأمور لله الذي بيده ملكوت السموات والأرض، ثم جاء الموضع الثالث :﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ ...﴾ [البقرة:165]، ليؤكد على مواصفات أمة الخلافة : الحرص على نقاء العقيدة من الشرك والأنداد، فلا يضع العبد الولاء في غير محله ولا يتقرب إلى تلك الأنداد بالمحبة والطاعة[2]، إنما يخلص العبد في ولائه فيحقق الولاء الخالص لله سبحانه وتعالى وذلك بالاستسلام لله سبحانه وتعالى وإفراده بالطاعة والعبادة والمحبة والتعظيم، وبذلك يحقق العبد العقيدة النقية الخالية من الشرك.

وأكد الموضع الرابع على مواصفات أمة الخلافة ومنها الحرص على نقاء العقيدة والبراءة من الأنداد، فدعت الآية إلى الكفر بالطواغيت وكل ما عبد من دون الله سواء كانت هذه الطواغيت

---

(1) ينظر: الطبري، **جامع البيان**، ج2، ص489.

(2) ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج4، ص175.

إنسانا أو شيطانا أو وثنا... [1]، وإخلاص الولاء لله سبحانه وتعالى: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ ... ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ ...﴾ [البقرة: 256– 257]، وبذلك يظهر لنا التناسق بين آيات الولاء والبراء وبين الوحدة الموضوعية للسورة واسمها، حيث الدلالة على مقومات أمة الخلافة.

ومن اللطيف في علاقة الولاء بموضوع السورة ختام السورة بالأمر للمؤمنين بالتوجه إليه بالكلية في جهادهم للأعداء وفي كل أمورهم حيث يجيء الموضع الخامس: ﴿أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: 286]، فإن الدعاء من ثمرة تحقيق الولاء الخالص لله سبحانه وتعالى[2].

المطلب الثالث: التناسق بين آيات الولاء والبراء في سورة البقرة، والسياق الذي جاءت فيه

أولاً: الموضع الأول في سورة البقرة:

جاء الاقتران بين (الولي) و(النصير) في موضعين في السورة، وسأشير سريعاً هنا لتناسب هذه الآيات مع الوحدة الموضوعية واسم السورة المتحدث عن صفات أمة الخلافة.

الموضع الأول في السورة في قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١٠٦ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ١٠٧﴾. جاءت هذه الآية في معرض الحديث عن النسخ، فكان

---

(1) ينظر: الطبري، **جامع البيان**، ج5، ص415.

(2) ينظر: البقاعي، **نظم الدرر**، ج4، ص186، 187

اختبار المؤمنين بالنسخ حتى يتبين صدق الامتثال لأمر الله[1]، فالله مالك السموات والأرض يحكم ما يريد، فيأمر عباده بما يشاء وينهاهم عما يشاء[2]، وفي ذلك رد على شبهات اليهود في النسخ وإنكارهم لذلك، فقال تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ١٠٧﴾ [البقرة]، فالله سبحانه وتعالى هو المتصرف في الكون، فيأمر عباده بما يشاء وينهاهم عما يشاء، وقد عقبت الآيات بصفتي (الولي)[3] و (النصير)[4] في سياق الحديث عن النسخ، للتنبيه على ما يجب أن يكون عليه العبد من رضى بحكم الله، لأن الله يتولى عباده بالصلاح[5]، ثم عقبت الآيات بذكر صفة من صفات بني إسرائيل وهي "العناد والمكابرة"[6] وهذا ما دل عليه قوله تعالى: ﴿أَمۡ تُرِيدُونَ أَن تَسۡـَٔلُواْ رَسُولَكُمۡ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ١٠٨﴾[البقرة].

---

(1) ينظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج1، ص378.

(2) ينظر: الطبري، **جامع البيان**، ج2، 488.

(3) معنى الولي: "الوَلَاءُ والتَّوَالِي :أن يَحْصُلَ شيئان فصاعدا حصولا ليس بينهما ما ليس منهما، ويستعار ذلك للقرب من حي المكان ومن حيث النّسبة، ومن حيث الدّين ومن حيث الصّداقة والنّصرة والاعتقاد". الراغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، ص885.

(4) معنى النصير: "النَّصْرُ والنُّصْرَةُ :العَوْنُ". الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 808.

(5) ينظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج1، 135.

(6) النخجواني، نعمة الله بن محمود، **الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية**، (مصر: دار كابي للنشر، ط1، 1999م)، ج1، ص47.

ثانياً: الموضع الثاني في سورة البقرة:

جاء الموضع الثاني في السورة في معرض الحديث عن الثبات على الهدى بأن لا يتبعوا أهواء الظالمين والسعي لنيل رضاهم، فقال تعالى: ﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ١٢٠﴾ [البقرة]، فالآية وإن كانت في النهي عن اتباع اليهود والنصارى، إلا أنها مبطنة بالنهي عن ولاء الكافرين والسعي لنيل رضاهم، لذلك ناسب أن تختم الآية بصفتي (الولي) (النصير)، للدلالة على أن الولاية والنصرة من عند الله، وأن موالاة الكافرين سبب للخذلان والهلاك، فلا أمان لعهودهم[1]، وبذلك تكون الآية قد بينت ضرورة التبرؤ من أعداء الله، ووجوب الالتزام بالإسلام كله، فذلك من مقومات أمة الخلافة، وهذا ما سيتضح من خلال ذكر الموضع الثالث والرابع في السورة.

ثالثاً: الموضع الثالث في سورة البقرة:

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعَذَابِ ١٦٥ إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ ١٦٦ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَتَبَرَّأَ مِنۡهُمۡ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ١٦٧﴾ [البقرة].

---

(1) ينظر: أبو حيان، **البحر المحيط في التفسير**، ج1، ص590؛ البقاعي، **نظم الدرر**، ج2، ص142.

جاءت هذه الآية في سياق تقرير وحدانية الله سبحانه وتعالى، وتفرده بالعبادة والطاعة، وذلك من خلال ذكر أدلة عقلية تدل على عظمة الله سبحانه وتعالى، ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ... ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة]، ثم جاء قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ... ﴿١٦٥﴾﴾ "لبيان موقف الجاحدين الضالين معجبا من سوء ضلالهم"[1] واتخاذهم الأنداد، والأنداد لفظ عام يدل على كل من اتُخذ من دون الله شريكاً، "سواء كان صنماً معبوداً أو رئيساً مخدوماً، أو مالاً منعقداً، أو إنساناً معشوقاً"[2]؛ فهؤلاء الجاحدون اتخذوا هذه الأنداد أولياء؛ ولم يأت لفظ الولاء هنا صريحًا، إنما بمظهر من مظاهر الولاء: "الود والميل"[3]، فمتى ما كانت محبة الأنداد هي التي تستوطن القلب، كان تشتت الولاء والطاعة والاتباع الأعمى والانحراف عن الطريق.

وناسب في هذا السياق ذكر حال المؤمنين وبيان علاقتهم مع الله سبحانه وتعالى، بعد أن بينت الآية حال المشركين بالله، فجاء في وصف علاقة المؤمنين بالله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة:165]، وهذا الوصف للمؤمنين يصدقه قوله ﷺ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ

---

(1) ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج1، ص234.

(2) الراغب الأصفهاني، **تفسير الراغب الأصفهاني**، تحقيق: محمد عبد العزيز بسيوني، (كلية الآداب: جامعة طنطا، د.ط، 1999م)، ج1، ص362.

(3) الخازن، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، ج 1، ص 100.

يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ»[1]، فدلت الآية والحديث النبوي على شدة محبة المؤمنين لله سبحانه وتعالى، فحب المؤمن لله حب أصلي متمكن في القلب[2]، وتنعكس هذه المحبة الصادقة على أفعال المؤمن من كمال الطاعة والاستسلام والانقياد لأمر الله، ولا تكتمل محبة العبد لله حتى يحقق قاعدة الحب في الله "فيحب العبد ما يحبه الله من الأشخاص والأعمال، ويبغض من يبغضه الله، ويوالي أولياءه، ويعادي أعداءه"[3]، وبعد أن بينت الآيات حال الكافرين الذين ظلموا أنفسهم باتخاذهم الأنداد، جاءت الآية لتبين سوء عملهم باتخاذهم الأنداد، فبينت الآية ضعف هذه الأنداد وأنها لا تملك من الأمر شيئا: ﴿إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ ١٦٦ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَتَبَرَّأَ مِنۡهُمۡ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ١٦٧﴾، فهؤلاء الذين ظلموا أنفسهم، واتخذوا الأنداد، حين يُعاينون عَذاب الله يومَ القيامة الذي أعده الله لهم، لعلموا أن

---

(1) أخرجه مسلم في **صحيحه**، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان، ج1، ص66، رقم (43).

(2) ينظر: البيضاوي: عبد الله بن عمر، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، (بيروت: دار إحياء التراث، ط1، 1418هـ)، ج1، ص117؛ ينظر أيضاً: الآلوسي: محمود بن عبد الله، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تحقيق: علي عبد الباري عطية، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ)،ج1، ص433.

(3) السعدي: عبد الرحمن بن ناصر، **القول السديد في شرح كتاب التوحيد**، (المملكة العربية السعودية: وزارة الشئون الإسلامية، ط1، 1421هـ)، ص128.

القوة كلها لله دُون الأنداد والآلهة، وأنّ الأنداد والآلهة لا تغني عنهم هنالك شيئًا، ولا تدفع عنهم عذابًا[1].

وبعد أن أثبتت الآيات وحدانية الله سبحانه وتعالى بالطاعة والمحبة، وأنكرت على الذين اتخذوا الأنداد من دون الله، "جاءت الآيات بوجه من وجوه اتخاذ الأنداد: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ١٦٨... يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١٧٢ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٧٣﴾ **[البقرة]**، فالتحليل والتحريم بالهوى اتباع للشيطان"[2]، فيجب على المؤمن أن يحقق كمال الطاعة لله سبحانه وتعالى، ومن ذلك اتباع أمر الله في التحليل والتحريم، سواء كان ذلك فيما يتعلق بالأطعمة، أو فيما يتعلق بتشريعات الله سبحانه وتعالى، فتحقيق الطاعة لله سبحانه وتعالى وإفراده بالعبودية من مواصفات أمة الخلافة، ويختم سياق الآيات بقوله تعالى: ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ١٧٧﴾، والمراد بالبر هنا، "بر العبد ربه بحسن المعاملة في تلقي شرائعه وأوامره"[3].

---

(1) ينظر: الطبري، **جامع البيان**، ج3، ص286.

(2) نخبة من علماء التفسير إشراف مصطفى مسلم، **التفسير الموضوعي لسور القرآن**، ج1، ص210.

(3) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج2، ص128.

رابعاً: الموضع الرابع في سورة البقرة

وهو قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥٧﴾.

جاءت الآية في سياق الحديث عن بني إسرائيل وموقفهم من القتال، وذلك من خلال ذكر قصتهم مع طالوت، فذكرت الآيات الموقف العام لبني إسرائيل: نقض العهد والنكوص عن القتال، الجبن والفرار من قتال العدو، فهذه الصفات من الصفات المتأصلة في بني إسرائيل[1]؛ بالإضافة إلى شخصيتهم المترددة، ومخالفتهم للأوامر والاعتراض والجدال العقيم، لذلك كان الأمر بامتحانهم وابتلائهم بأمر مادي تتعلق به النفوس، وذلك حتى يتبين الذي يخلص ولاءه ويطيع أوامر الله، ومن جانب آخر حتى يتبين مدى تمكن شهوات الدنيا في القلب[2]، والذي يؤدي إلى تشتت الولاء كما حدث مع أغلبية الجيش.

وفي ذكر قصة بني إسرائيل مع طالوت في هذا السياق ارتباط وتناسق مع الوحدة الموضوعية للسورة، فسبب استخلاف بني إسرائيل تشتت ولائهم، وما اتصفوا به من صفات قبيحة، ومن جانب آخر فإن من مقومات الخلافة إخلاص الولاء لله سبحانه وتعالى، بل إن من لوازم النصر والتمكين إخلاص الولاء، لذلك ناسب ذكر ولاية الله سبحانه وتعالى للمؤمنين في هذا السياق: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ

---

(1) ينظر: سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج1، ص366؛ حوى: سعيد، **الأساس**، (القاهرة: دار السلام، ط6، 1423هـ). ج1، ص574.

(2) ينظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج1، ص334؛ البقاعي، **نظم الدرر**، ج3، ص427.

إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾، بعد آية الكرسي المتحدثة عن عظمة الله سبحانه وتعالى، والتي نزهت الله عن كل نقص، فالآيات تنبه المؤمنين إلى أن المستحق للولاء والتعظيم هو الله سبحانه وتعالى، كما قرره الموضع الأول من السورة، وفي كلا الموضعين فإن السورة مهدت المؤمنين لحمل الخلافة في الأرض، وذلك من خلال تقويم عقيدتها وإخلاص ولائها لله سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِ...﴾ [البقرة:165]، ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ ...﴾ [البقرة: 256]، فقد ربطت الآيتان بين الإيمان بالله سبحانه وتعالى وبين البراءة من الطواغيت والأنداد وكل ما يعبد من دون الله، بل إن الآية قدمت البراءة من كل ما يعبد من دون الله على الإيمان لأهمية تنقية القلب من الشرك وأهله، فتخلية القلب من ذلك، ثم إخلاص الولاء لله سبحانه وتعالى[1]، ولا شك أن الثبات على الإيمان الصحيح ومتطلبات الإيمان من ولاء وبراء، يتطلب الثبات واليقين بهذا الدين، ومجاهدة النفس، فمشتتات الولاء كثيرة[2]، وهذا ما دل عليه قوله تعالى: ﴿فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة: 256]، فإن استقام المؤمن على هذا الطريق كانت الثمرة: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ [البقرة]، "فالله ولي المؤمنين في حجاجهم، ووليهم أيضا في نصرهم وإظهار دينهم على دين مخالفيهم، ووليهم أيضا بتولي قولهم ومجازاتهم بحسن أعمالهم"[3]، وقد دل قوله تعالى في سورة

---

(1) ينظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج1، ص344؛ أبو السعود، **إرشاد العقل السليم**، ج 1، ص250.

(2) ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج3، ص29.

(3) الزجاج، **معاني القرآن وإعرابه**،ج1، ص339.

يونس على معنى ولاية الله: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٦٤﴾ [يونس]، والحديث القدسي الذي يصف أولياء الله المقربين، وذلك ما رواه البخاري: عن أبي هريرةَ، قالَ: قالَ رسول الله ﷺ: «إِنَّ الله –عَزَّ وَجَلَّ– قالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِياً فَقَد آذَنْتُهُ بِالحَربِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ...»[1] ، فدلت الآيات والحديث أن ولاية الله للمؤمنين تتحقق بكمال الطاعة وتقوى الله والتقرب إلى الله بالعبادات والنوافل. وبعد أن بينت الآيات أن الله هو الولي لعباده، جاء قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٥٨ أَوۡ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٖ ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ.. ٢٥٩ ﴾ [البقرة 258– 259]، والمقصود من ذكر قصة إبراهيم عليه السلام مع الذي يحاج في الله ، للاستدلال على وحدانية الله سبحانه وتعالى، وإبطال إلاهية غيره لانفراده بالإماتة والإحياء وانفراده بالخلق[2].

أما الموضع الخامس فواضح التناسق فيما ذكرناه، حيث تلك الأدعية المشعرة بمصدر القوة الحقيقي: ﴿رَبَّنا لا تُؤاخِذْنَا إنْ نَسِينا أَوْ أخْطَأنا... أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: 286]، فإن من مواصفات أمة الخلافة ديمومة الارتباط واللجوء إلى الله مولانا، سبحانه وتعالى.

---

(1) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب الرقائق، باب التواضع، ج8، ص105، حديث رقم (6502).

(2) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج3، ص31.

المبحث الثاني: التناسق الموضوعي لآيات الولاء والبراء في سورة آل عمران

المطلب الأول: مدخل إلى سورة آل عمران:

أولاً: نبذة عن السورة، وآيات الولاء والبراء فيها:

سورة آل عمران سورة مدنية، اهتمت بإثبات وحدانية الله، فنزل صدر السورة في محاجة نصارى نجران فيما يتعلق بعيسى عليه السلام، ثم الرد على شبهاتهم بالحجة والبرهان، والجزء الآخر من السورة تناول بالتفصيل الحديث عن غزوة أُحد[1]، وأهم الأسباب التي أدت إلى الانكسار والفشل، وتخلل ذلك توجيهات للمؤمنين تضبط طريقة التعامل فيما بينهم من جانب، وبين الأعداء من جانب آخر، إضافة إلى التوجيهات التي تضبط المجتمع، ومنها ما يتعلق بالولاء البراء.

وجاءت آيات الولاء والبراء في السورة في ثلاثة مواضع: الموضع الأول في قوله تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ... ٢٨﴾ [آل عمران]، والموضع الثاني في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ ١٠٠ ... يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةٗ مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا... ١١٨﴾ [آل عمران]، والموضع الثالث في ختام السورة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ١٤٩ بَلِ ٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ١٥٠﴾.

وسميت بسورة آل عمران إشارة إلى النصارى، فالسورة تحدثت بشكل رئيس عن النصارى، حيث احتلت قصتهم بتفاصيلها نصف السورة الأول تقريبًا، فجاء الحديث عن مريم بنت عمران، وولادة عيسى عليه السلام، والحديث عن نبي الله زكريا، واصطفاء آل عمران، وحوار نصارى نجران،

---

(1) ينظر: الطنطاوي، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، ج2، ص6.

فاسم السورة (آل عمران) ارتبط بالنصارى وذلك من جانبين، الجانب الأول يتعلق بدحض شبهاتهم عن ألوهية عيسى عليه السلام، أما الجانب الثاني فله ارتباط بالعلاقة بين النصارى وشركائهم من أهل الكتاب، لذلك جاءت السورة؛ لتبين الأساس في التعامل مع أهل الكتاب، ومن ذلك النهي عن طاعتهم وولائهم.

ثانيًا: التناسق بين الوحدة الموضوعية للسورة واسمها

ذكر البقاعي في نظم الدرر: "أن المقصد الذي سيقت له السورة: إثبات وحدانية الله سبحانه وتعالى"[1].

وذكر الغزالي أن سورة آل عمران تدور حول قضيتين: "القضية الأولى: حوار أهل الكتاب الذين يخاصمون الإسلام، والقضية الثانية: التعليق على هزيمة أحد التي أصابت المسلمين"[2]، ولا يختلف سيد قطب كثيراً عما ذكره الغزالي حول الوحدة الموضوعية للسورة، فذكر سيد قطب أن سورة آل عمران تقوم على جانبين: الجانب الأول والذي يستغرق نصف السورة تقريبًا، يصور الجانب النظري للمعركة العقدية بين المؤمنين والأعداء الذين يتربصون بالمؤمنين، ويحاربون العقيدة، وذلك بالدس وإثارة الشبهات والفتن في المجتمع المسلم، أما الجانب الثاني الذي تناولته السورة ما يتعلق بغزوة أُحد، حيث الجانب العملي من المعركة العقدية[3].

ومن خلال ما ذكره البقاعي وسيد قطب والغزالي، يمكن أن نقول إن سورة آل عمران تناولت معركة العقيدة بين المؤمنين والكافرين، وذلك من خلال جانبين؛ الجانب النظري وهو ما له علاقة

---

(1) البقاعي، **نظم الدرر**، ج4، ص195.

(2) الغزالي: محمد بن محمد، **نحو تفسير موضوعي لسور القرآن**، (القاهرة: دار الشروق، ط1، 1995م)، ص27.

(3) ينظر: سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج1، ص485، 486، 487.

بإثبات وحدانية الله سبحانه وتعالى والأدلة عليها، وبيان الدين الذي ارتضاه الله لعباده، والرد على شبهات النصارى؛ أما الجانب الثاني الذي عرضته السورة، الجانب التطبيقي لهذه المعركة، وذلك بعد تبصير المؤمنين بأمر أهل الكتاب، وبعد توضيح العقيدة الصحيحة، فيكون المؤمن ثابتًا مستعدا لهذه المعركة.

وإذا أردنا أن نشرك اسم السورة في بيان نظمها وتناسق موضوعاتها وبيان وحدتها الموضوعية يمكن القول: إن السورة تحدثت عن النصارى بالتفصيل، الرد على شبهاتهم عن ألوهية عيسى عليه وسلم وذلك ما يمثل (الجانب النظري لمعركة العقيدة)، ولم تغفل عن ذكر موقف شركائهم من اليهود، حيث النكوص عن الحق، فبينت السورة طبيعة المعركة العقدية مع أهل الكتاب، وجزء من هذه المعركة بيان ما يتعلق بموقف أهل الكتاب من الإسلام والمسلمين، حيث الكيد والعداء والسعي لنشر الفتن في صفوف المؤمنين.

المطلب الثاني: التناسق بين آيات الولاء والبراء في سورة آل عمران، وبين الوحدة الموضوعية للسورة واسمها:

قال ابن عاشور: "ووجه تسميته السورة بسورة آل عمران أنها ذكرت فيها فضائل آل عمران وهو عمران بن ماتان أبو مريم وءاله هم زوجه حنة وأختها زوجة زكريا النبي"[1]، وتحدث عن أغراض السورة ومنها: "التنويه بفضيلة الإسلام وأنه لا يعدله دين، وأنه لا يقبل دين عند الله، بعد ظهور الإسلام، غير الإسلام، والتنويه بالتوراة والإنجيل، والإيماء إلى أنهما أنزلا قبل القرآن، تمهيدا لهذا الدين فلا يحق للناس، أن يكفروا به، وعلى التعريف بدلائل إلاهية الله تعالى، وانفراده، وإبطال

(1) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج3، ص144، وليس بالضرورة أن يصح مثل هذا النسب.

ضلالة الذين اتخذوا آلهة من دون الله"[1]، فالارتباط بيّن بين اسم السورة المتعلق بالعقيدة المسيحية، وموضوع السورة، وقضية الولاء والبراء.

كما أن في إشارة الآلوسي في بداية تفسيره لجوانب الارتباط بين هذه السورة وسورة البقرة ما يجلي هذا الأمر حيث قال: "ووجه مناسبتها لتلك السورة أن كثيرا من مجملاتها تشرح بما فى هذه السورة وأن سورة البقرة بمنزلة إقامة الحجة وهذه بمنزلة الشبهة ولهذا تكرر فيها ما يتعلق بالمقصود، مثل تكرار آية ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا﴾[آل عمران 84]"[2].

فإذا كان الأمر كما بين أولئك الأئمة فإن أرى أنّ آيات الولاء والبراء في سورة آل عمران وردت لبيان جزء من هذه المعركة العقدية، فجاء النهي عن اتخاذ الكافرين وأهل الكتاب أولياء، وهذا ما بينته المواضع التي استخلصتها، مثل الموضع الأول في السورة: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۖ...﴾ [آل عمران: 28]، ثم جاءت الآيات الممهدة لغزوة أُحد لتبين الجانب التطبيقي لهذه المعركة؛ فكان النهي عن طاعة أهل الكتاب والكافرين، فإن طاعتهم من أهم أسباب التفرق والكفر والخسران، وهذا ما بينه قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ [آل عمران]، ثم جاء الموضع الثاني في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا... ﴿١١٨﴾﴾[3] [آل عمران]،

---

(1) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج3، ص144.

(2) الآلوسي، محمود، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، (بيروت، دار إحياء التراث العربي).

(3) مما ورد في سبب نزول الآية ما ذكره ابن عباس وابن مجاهد: "نزلت في قوم كانوا يصافون المنافقين ويواصلون رجالا من اليهود لما كان بينهم من قرابة وصداقة... فأنزل الله هذه الآية ينهاهم عن مباطنتهم

لتنهى عن طاعة الكافرين بشكل عام، ومن صور طاعتهم اتخاذهم بطانة وموضع قرب، فإن ذلك من أسباب الفشل والهزيمة كما حدث في غزوة أُحد، والعكس صحيح؛ فإن طاعة الله والرسول ﷺ، وإخلاص الولاء، والثبات في المعركة من مقومات النصر.

خوفا من الفتنة"، الواحدي: علي بن أحمد، **أسباب النزول**، تحقيق: كمال بسيوني، زغلول، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1411هـ) ، ص120؛ ينظر أيضا: ابن حجر العسقلاني، العجاب في بيان الأسباب، ج2، ص739.

المطلب الثالث: التناسق بين آيات الولاء والبراء في سورة آل عمران، والسياق الذي جاءت فيه:

أولاً: الموضع الأول في سورة آل عمران:

وهو قوله تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨﴾ [آل عمران].

جاءت آيات الولاء والبراء في سورة آل عمران في سياق الحديث عن الدين المقبول عند الله ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ١٩﴾، فبدأ السياق في تقرير أنه لا دين عنده يقبله من أحد سوى الإسلام "الذي هو الانقياد بالتذلل والخشوع"[1]، وبعد أن بين الله الدين المقبول، جاء السياق ليحدثنا عن "أخلاقيات الكافرين الذين يكفرون بآيات الله"[2]، وأولى هذه الأخلاق ما ذكره السياق من كفر أهل الكتاب وموقفهم من دعوة الرسول صلى الله عليه حيث تركوا الإسلام الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وأنكروا نبوته[3] فكان مصيرهم الاختلاف في الدين مع وضوح الأدلة والحجج على صحة هذا الدين، وإن كان هذا هو موقف أهل الكتاب من دعوة الرسول وهو الكفر بما جاء في القرآن؛ فموقفهم لا يختلف كثيراً مع كتبهم السابقة، فجاءت الآيات للتعجب من

---

(1) الطبري، **جامع البيان**، ج6، ص274.

(2) حوى، **الأساس**، ج2، ص721.

(3) ينظر: أبو السعود، **إرشاد العقل السليم**، ج1، ص341

شأن أهل الكتاب الذين يرفضون التحاكم إلى التوراة، وكان الأولى أن يكونوا أحرص الناس على اتباعه ولكنهم تولوا عن حكم الله بدافع الغرور والكبر والعناد[1].

وبعد أن بين الله حال أهل الكتاب وأنهم كفروا بدعوة الرسول بعدما جاءتهم الحجج الواضحة، جاء السياق ليبين لنا موقف آخر من مواقفهم، فهم لم يكتفوا بالكفر بآيات الله وإنما رافق ذلك الكفر الجرأة على الأنبياء والعلماء ودعاة الحق[2].

ثم ينتقل السياق إلى بيان بعض دلائل قدرة الله سبحانه وتعالى، فجاء السياق لبيان قدرة الله سبحانه وتعالى وأنه متفرد في أمور لا يقدر عليها أحد من خلقه، وهذا ما دل عليه قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٦ تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٢٧﴾[آل عمران]، فإذا تدبر المؤمن في هذه المعاني تيقن بأن القوامة بيد الله فهو سبحانه وتعالى المدبر لأمر الكون وهو القائم بأمر البشر كلهم، وكأن الآية تدعوا المؤمنين أن يتجهوا إلى الله وحده مقرين بألوهية الله وقوامته وتدبيره للكون[3]، وبعد بيان قدرة الله وقوامته على الكون جاء قوله تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ

---

(1) ينظر: الزحيلي، **المنير**، ج 3، ص 188.

(2) حوى، **سعيد الأساس**، ج2، ص727.

(3) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج1، ص528.

ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ ...﴿٢٨﴾[1] [آل عمران]، ومن خلال العرض السريع لسياق الآيات، يظهر التناسق من جانبين متكاملين؛ "فبعد أن بين الله ما يجب أن يكون المؤمن عليه في تعظيم الله تعالى، ثم ذكر بعده ما يجب أن يكون المؤمن عليه في المعاملة مع الناس"[2]، ففي علاقة المؤمن بربه؛ بين سياق الآيات أفعال الله التي تدل على عظمته وكمال قدرته، فالله سبحانه وتعالى مالك الملك، والمعز والمذل، وبيده ملكوت السموات والأرض، وإقرار العبد بذلك، والتجاؤه لله سبحانه وتعالى، يقوي في المؤمن جانب الأمان وحسن التوكل، فلا داعي إذن لطرق أبواب الغير وطلب النصرة والعزة منهم، ولذلك نهى الله سبحانه وتعالى عن موالاة الكافرين [3].

وبعد أن بين سياق الآيات طبيعة علاقة المؤمن بربه، جاءت آية الولاء والبراء لتبين علاقة المؤمن بالناس، فالمؤمن يوالي المؤمنين ويشفق عليهم، ويتبرأ من أفعال الكافرين القبيحة، لا سيما أن سياق الآيات قد تحدث عن فئة من الكافرين يحاجون في الله ويعرضون عنه، فكيف تستقيم علاقة المؤمن مع هذه الفئة من الكافرين[4]، فجاء الأمر الإلهي لينهى المؤمنين الراسخين في

---

(1) ما ورد في سبب نزول الآية: قال ابن عباس: كان الحجاج بن عمروا وكهمس بن أبي الحقيق وقيس بن زيد – وهؤلاء كانوا من اليهود يباطنون نفرا من الأنصار ليفتنوهم عن دينهم، فقال رفاعة بن المنذر... لأولئك النفر: اجتنبوا هؤلاء اليهود واحذروا مباطنتهم...، فأنزل الله تعالى هذه الآية". الواحدي، **أسباب النزول**، ص102. ينظر أيضًا: ابن حجر العسقلاني: أبو الفضل أحمد بن علي، **العجاب في بيان الأسباب**، تحقيق: عبد الحكيم محمد الأنيس، (د. م: دار ابن الجوزي، د.ط، د.ت)، ج2، ص676.

(2) الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج8، ص11.

(3) ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج8، ص 11، البقاعي، **نظم الدرر**، ج4، ص323.

(4) ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج3، ص215.

الإيمان عن اتخاذ الكافرين أولياء، والمقصود بالاتخاذ هنا: "اتخاذهم أنصارًا توالونهم، وتظاهرونهم على المسلمين من دون المؤمنين، وتدلُّونهم على عوراتهم"[1]، وقيد هذا الاتخاذ بقوله: ﴿مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾ [آل عمران:28]، فلا يوالي المؤمنون الكافرين في كل الأحوال، "لا استقلالاً ولا اشتراكاً"[2]، وإنما يجب قصر الولاية والمحبة والنصرة على المؤمنين، فالمؤمن أولى بالمؤمن، كما دل عليه قوله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ المُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا»[3]، والعلة في النهي عن موالاة الكافرين ترجع إلى عدة أسباب ذكرتها سورة آل عمران، وذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ١٤٩﴾ [آل عمران]، فذكرت الآيات أن الميل للكافرين وطاعتهم سبب في الردة والكفر والخسران، فكيف بمن حقق كامل الولاء لهم ونصرتهم والسعي لإرضائهم، لذلك عقب الله هذا النهي الصريح بقوله تعالى: ﴿فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ﴾، لدلالة على شدة التحذير والمبالغة في النهي؛ إذ إن النتيجة المترتبة لمن يوالي الأعداء؛ نفي ولاية الله عنهم[4]، إنما ينال ولاية الله من التزم بأمر الله، وحقق الولاء الصحيح، كما دلت عليه آية البقرة: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا...﴾ [البقرة: 257].

---

(1) الطبري، **جامع البيان**، ج6، ص313.

(2) أبو السعود، **إرشاد العقل**، ج2، ص23.

(3) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب الأدب، باب تعاون المؤمنين بعضهم مع بعض، ج8، ص12، رقم (6026).

(4) ينظر: أبو حيان، **البحر المحيط**، ج3، ص92.

واستثنت الآيات حالة يسمح فيها بموالاة الكافرين، ولكن بشرط التقية فقال تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ﴾ [1] [آل عمران:28]، فقد رخص الله للمؤمنين المستضعفين إذا خافوا شر الكفار أن يوالوهم "والمراد بتلك الموالاة مخالفة ومعاشرة ظاهرة، والقلب مطمئن بالعداوة والبغضاء، وانتظار زوال المانع"[2]، وبعد أن حذر الله المؤمنين من اتخاذ الكافرين أولياء، والتحذير من العاقبة المترتبة على موالاة الكافرين، جاءت الآيات بتحذير آخر يلمس قلوب المؤمنين ويدعوها للخوف والخشية من غضب الله ونقمته، فقال تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨ قُلۡ إِن تُخۡفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمۡ أَوۡ تُبۡدُوهُ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٩﴾ [آل عمران]، فأنتم أيها المؤمنون متى خالفتم أمر الله، واتخذتم الكافرين أولياء من دون المؤمنين بعد هذا النهي الصريح الواضح "نالكم من عقاب ربكم ما لا قِبَل لكم به"[3].

وبعد أن نهت الآيات عن موالاة الكافرين، ونبهت المؤمنين من اتخاذ الكافرين أولياء وموطن قرب ونصرة، فإن ذلك مدعاة لنفي ولاية الله عن المؤمنين، جاءت الآيات لتدل المؤمنين على المنهج الصحيح الذي إن اتبعه المؤمن وصل لولاية المولى[4]، فقال تعالى: ﴿قُلۡ إِنۡ كُنتُمۡ

---

(1) ذكر الطبري في تأويل الآية، قول قتادة: "إلا أن يكون بينك وبينه قرابة"، قال أبو جعفر: وهذا الذي قاله قتادة تأويلٌ له وجه، وليس بالوجه الذي يدل عليه ظاهر الآية، فالأغلب من معاني هذا الكلام: إلا أن تخافوا منه مخافة، والتأويل في القرآن على الأغلب الظاهر". الطبري، **جامع البيان**، ج6، ص317.

(2) الزمخشري، **الكشاف**، ج1، ص270.

(3) الطبري، **جامع البيان**، ج6، ص316.

(4) ينظر: الآلوسي، **روح المعاني**، ج2، ص125.

تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾، فدلت الآية أن من لوازم الولاء الصحيح تحقيق الطاعة لله وللرسول صلى الله عليه وسلم.

ثانيًا: الموضع الثاني في سورة آل عمران:

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾﴾ [آل عمران].

بعد أن بين الموضع الأول من السورة النهي عن موالاة الكافرين، جاء الموضع الثاني ليبين مظهراً من مظاهر الولاء؛ وهو الثقة بالكفار واطلاعهم على أسرار المؤمنين، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾[آل عمران:118]:، فالآية تنهى عن اتخاذ "الأولياء من دون أهل دينكم وملَّتكم"[1]، وهذا من التكامل في عرض موضوع الولاء، فبعد التأصيل والنهي الصريح في الآية الأولى، جاءت آية الموضع الثاني لتعطينا نماذج وصوراً عن كيفية اتخاذ الكافرين أولياء، فذكرت الآيات مظهرين من مظاهر الولاء للكافرين؛ الطاعة واتخاذهم بطانة وأخلّاء.

ولا بد من استعراض سريع لما جاء بين الموضعين من توجيهات، حيث الحديث عن محاجة أهل الكتاب، والرد على شبهاتهم، فبينت الآيات أصل الإسلام: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ

(1) الطبري، **جامع البيان**، ج7، ص138.

فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [آل عمران]، حيث توحيد الله وطاعته، والبراءة من الشرك، وفي ذلك رد على النصارى واليهود الذين يجادلون في إبراهيم وملته، فأهل الكتاب لم يسلموا لله، لذلك قال تعالى بعد ثلاث آيات: ﴿مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [آل عمران]، لتبرئة إبراهيم عليه السلام من اليهود والنصارى، وتقرير أن إبراهيم عليه السلام حنيفًا مسلمًا، وبيان أن أحق الناس بخلافة إبراهيم عليه السلام هي أمة محمد صلى الله عليه وسلم الموحدة المتبعة لشريعة الله[1]، وفي هذا الموضع من السورة تأكيد لما جاء في سورة البقرة وتميز أمة محمد ﷺ ونيلهم لشرف الخلافة.

ثم انتقل سياق الآيات للحديث عن موقف أهل الكتاب من دعوة محمد صلى الله عليه وسلم، فمع وضوح الأدلة على صحة دعوته، إلا أن الإنكار والجحود والإعراض عن الحق هو الحال الذي ارتضوه، ولم يكتف أهل الكتاب بذلك، بل إن طائفة منهم تجتهد في إضلال المسلمين والصد عن سبيل الله[2]، فهم يسعون إلى نشر الفتن والشبهات بين صفوف المؤمنين، حتى يردوا المؤمنين عن دينهم، وذلك بدافع الحسد والحقد على المؤمنين[3]، وهذا ما دل عليه قوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ﴾

---

(1) ينظر: الطبري، **جامع البيان**، ج6، ص493، 497؛ الفراهي: عبد الحميد، **مفردات القرآن نظرات جديدة في تفسير ألفاظ القرآن**، تحقيق: محمد الإصلاحي، (بيروت: دار الغرب، ط1، 2002م)، ص 150.

(2) ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج8، ص255.

(3) ينظر: شلتوت: محمود، **تفسير القرآن الكريم الأجزاء العشرة الأولى**، (القاهرة: دار الشروق، ط12، 2004م)، ص103.

[البقرة:109]، وكما دلت عليه آية آل عمران:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ ١٠٠﴾، والتي تنهى المؤمنين عن طاعة أهل الكتاب والكافرين بشكل عام والبراءة منهم، ولعل العلة في النهي عن طاعتهم راجعة إلى أن الميل لأهل الكتاب والكفار وطاعتهم والثقة الكاملة بهم من مظاهر الولاء المنهي عنه، وذلك قد يؤدي إلى الردة والكفر حسب طبيعة الموالاة والقرب من الأعداء، وفي المقابل فإن محبة الله ورسوله وطاعتهما من مظاهر الولاء الصحيح، لذلك ناسب أن تعقب الآيات بالطريقة المثلى التي تعصم المؤمن من ضلال الكافرين، فالاعتصام بالقرآن وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم يقوي جانب التوكل على الله والثقة بتمكين الله[1].

ثم أرشدت الآيات المؤمنين إلى سبيل هذا الاعتصام، فقال تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٠٣ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ...١٠٥﴾ [آل عمران]، فذكرت الآيات عدداً من الأوامر والنواهي التي تعين على الثبات على هذا الدين، وتحمي من الوقوع في الزلل، وذلك باتجاهين؛ ما له تعلق بتربية المؤمن على الصعيد الفردي، وما له تعلق بتربية المجتمع؛ فعلى الصعيد الفردي أمرت الآيات المؤمنين بالاعتصام بالله، وكلمة الاعتصام تدل على " الاستمساك

---

(1) ينظر: النسفي: عبد الله بن أحمد، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، تحقيق: يوسف علي بديوي، (بيروت: دار الكلم الطيب، ط1998،1م)، ج1، ص279.

بالشيء"[1]، وعلى صعيد إصلاح المجتمع المسلم، دعت الآيات لاجتماع المؤمنين على الخير[2]، وسبيل ذلك انتشار فعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وذلك حسب الاستطاعة، ولا تقل أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في إصلاح المجتمع، عن أهمية دعوة المؤمنين إلى الاجتماع والتآلف والمحبة بين المجتمعات المسلمة، وتظهر لنا أهمية ذلك من خلال النهي الصريح عن التفرق، ومشابهة الأمم السابقة في الاختلاف والتشتت: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٥﴾ [آل عمران].

وأنصفت الآيات أهل الكتاب بأنهم ليسوا سواء؛ فمنهم طائفة آمنت بالله وهي الطائفة القليلة، ومنهم الفاسقون الذين لا يؤمنون بالله، فالفئة الفاسقة من أهل الكتاب لا تستطيع أن تضر المؤمنين إلا بالقليل، فهم أضعف من أن يواجهوا المؤمنين المجتمعين[3]، أما الفريق الآخر من أهل الكتاب فهم الذين يؤمنون بالله، وقد وصفتهم الآيات بعدة صفات؛ تلاوة آيات الله آناء الليل، الإيمان بالله، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمسارعة في الخيرات.

ثم يختم سياق الآيات بالحديث عن الكافرين، وأنهم لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً وأنهم خالدون في النار، عندها جاء قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةٗ مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا﴾ [آل عمران:118]، حيث يظهر لنا التناسق جانبين يوضحان طبيعة المعركة بين المؤمنين والكافرين، –وفي ذلك تمهيد للحديث عن غزوة أُحد– فالجانب الأول يتعلق ببيان طبيعة هذه المعركة؛ فموقف أهل الكتاب كما بينه السياق يتمثل في الصد عن سبيل الله،

---

(1) الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن، ص570**

(2) ينظر: البقاعي، **نظم الدرر**، ج5، ص18.

(3) ينظر: السمرقندي، **بحر العلوم**، ج1، ص219.

والسعي لإغواء المؤمنين وإضلالهم عن الطريق المستقيم، حتى يردوا المسلمين عن الإسلام، وفي ذلك تنبيه للمؤمنين بضرورة الاعتصام بحبل الله، والتيقظ إلى الحرب العقدية التي يسعى لها الأعداء لطمس الهوية الإسلامية، وبعد التنبيه على طبيعة المعركة، يأتي الموضع الثاني في السورة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ١١٨﴾[آل عمران]، ليؤكد على طبيعة هذه الحرب العقدية، ولتنهى المؤمنين من الانقياد والطاعة للأعداء، فإن ذلك سبيل للفساد في المجتمع[1].

أما الجانب الثاني في التناسق، فيتضح من خلال ما بينه سياق الآيات من قواعد وثوابت للمحافظة على شخصية متماسكة معتزة بنفسها وبدينها، وتحقق ولاءها لله وللرسول صلى لله عليه وسلم، وسبيل ذلك؛ تقوى الله في الثبات على الإيمان، والاجتماع وعدم التفرق[2]، فإن حقق المؤمن ذلك وسار على هذا المنهج، كان صاحب مبدأ وقيم وثوابت، وقوي أمام فتن الأعداء وكيدهم، فلا يتخذهم أولياء، لذلك جاء النهي الصريح للمؤمنين الذين يعتزون بدينهم، ويخافون على مصلحة المؤمنين بأن لا يتخذوا الأعداء بطانة لهم، وأصل البطانة من البطن، وهي خلاف الظاهر، ومنه بطانة الثوب، ثم استعير اللفظ للدلالة لمن يختصه الرجل بالاطلاع على باطن أمره وأسراره[3]،

---

(1) ينظر: رشيد رضا: محمد، **تفسير القرآن الحكيم**، (مصر: دار المنار، ط3، 1367هـ)، ج4، ص80؛ أبو زهرة، **زهرة التفاسير**، ج3، ص 1378.

(2) ينظر: الزحيلي، **التفسير الوسيط**، ج1، ص223، 224.

(3) ينظر: الراغب الأصفهاني: الحسين بن محمد، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، (دمشق: دار القلم، ط1، 1412هـ)، ص 66.

"والحاصل أن الذي يخصه الإنسان بمزيد التقريب يسمى بطانة لأنه بمنزلة ما يلي بطنه في شدة القرب منه"[1].

وجاء النهي عن اتخاذ الكافرين بطانة في سياق النكرة: ﴿لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً من دونكم﴾ [آل عمران:118]، للدلالة على أمرين؛ الأمر الأول: أن النهي المقصود في الآية يشمل جميع أصناف الكفار بدلالة قوله ﴿مِّن دُونِكُمْ﴾[آل عمران:118]، فيكون النهي عن اتخاذ بطانة من غير المؤمنين[2]، ويدخل في هذا النهي المنافقون المخادعون، والكفار المجاهرون بالعداوة والحقد والكره للإسلام[3]، والأمر الثاني: أن اتخاذ الكافرين بطانة يشمل عدة صور، من أهمها "مباطنتهم بأسراركم وتخصيصهم بالمودة والصفاء ومبادلة المال والوفاء"[4].

ومن ثم تستأنف الآيات في ذكر هذه البطانة المنهي عن اتخاذها، فذكرت الآيات حال هذه البطانة وشدة كيدهم للإسلام والمسلمين، فإن عرفت العلة انتهى المؤمنون عن اتخاذهم موضع قرب ونفروا من سوء حالهم، فقال تعالى في بيان حال هذه البطانة[5]: ﴿...لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ١١٨ هَٰٓأَنتُمۡ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمۡ وَلَا يُحِبُّونَكُمۡ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ كُلِّهِۦۖ وَإِذَا لَقُوكُمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ عَضُّواْ

---

(1) الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج8، ص339.

(2) ينظر: **الرازي، مفاتيح الغيب**، ج8، ص339.

(3) ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج4، ص64؛ حبنكة: عبد الرحمن، **ظاهرة النفاق وخبائث المنافقين**، (دمشق: دار القلم، ط1، 1993م)، ج1، ص285.

(4) البقاعي، **نظم الدرر**، ج5، ص37- 38.

(5) ينظر: أبو حيان، **البحر المحيط**، ج3، ص317؛ أبو السعود، **إرشاد العقل السليم**، ج2، ص76.

عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۚ قُلۡ مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَاۖ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴿١٢٠﴾﴾[آل عمران: 118- 120]، فجاءت الآيات بأحوال واضحة لهذه البطانة، ويمكن تلخيص تلك الأحوال في سعيهم لإلحاق الضرر والفساد في صفوف المؤمنين، ويتأكد هذا الهدف بوصفهم أنهم قوم:﴿ ...إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَاۖ...﴾[آل عمران:120]، فإن فرحهم "بنزول الشدائد بالمؤمنين"[1] من أوضح صفات الأعداء الدالة على شدة كيدهم، وبعد أن بينت الآيات العلامات الدالة على كيد الأعداء، ذكرت الآيات النتيجة المترتبة والمنطقية من ذكر أحوال هذه البطانة الفاسدة، وهي عدم اتخاذهم موطن قرب، إلا أن فئة من المؤمنين ومع وضوح الأدلة على كيد الأعداء، إلا أنهم لا يزالون يخالطون الأعداء ويتخذونهم موضع قرب ويفشون إليهم أسرار المؤمنين، وهذا دليل على شدة محبتهم للأعداء، لذلك جاء قوله تعالى بصيغة التعجب لتبين موقف هذه الفئة من المؤمنين[2]، فقال تعالى: ﴿...هَٰٓأَنتُمۡ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمۡ وَلَا يُحِبُّونَكُمۡ...﴾ [آل عمران: 119].

ثم جاءت الآيات لتعلمنا كيف نتقي كيدهم، وندفع أذاهم وذلك بطريق رسمته الآيات ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ﴾[آل عمران:120]، ومن ذلك "الصبر والعزم والصمود أمام قوتهم وإن كانوا أقوياء؛ وأمام مكرهم وكيدهم إن سلكوا طريق الوقيعة والخداع"[3].

---

(1) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج4، ص183.

(2) ينظر: حبنكة، **ظاهرة النفاق**، ج1، ص297.

(3) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج1، ص622.

وبعد أن نهت الآيات عن اتخاذ البطانة من الكافرين؛ وأمرت المؤمنين بالتقوى والصبر، فإن ذلك سبيل النصر، جاءت الآيات بتطبيق عملي، يبين تحقق سنة الله في النصر لمن التزم بمنهج الله من صبر وتقوى وولاء صحيح، وتبين خلاف ذلك لمن لم يلتزم بمنهج الله، فكان الحديث عن غزوتي بدر (تذكيرا) وأُحد (تفصيلا)[1]، فقال تعالى في سياق ذلك: ﴿وَإِذۡ غَدَوۡتَ مِنۡ أَهۡلِكَ تُبَوِّئُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلۡقِتَالِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١٢١ إِذۡ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمۡ أَن تَفۡشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَاۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٢٢ .... يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ١٤٩ بَلِ ٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ١٥٠﴾ [آل عمران]، فجاءت هذه الآيات لتذكر المؤمنين بغزوة أحد، وما كان فيها من انكسار حدث للمؤمنين، وذلك لعدة أسباب كما ذكرتها الآيات، فمن أسباب هزيمة المؤمنين يوم أحد عدم تحقيق الطاعة التامة للرسول صلى الله عليه وسلم، ومما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ غَدَوۡتَ مِنۡ أَهۡلِكَ تُبَوِّئُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلۡقِتَالِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١٢١﴾ [آل عمران]، "فالنبي صلى الله عليه وسلم تقدم إلى كل أحد في الجيش بالثبات في مركزه، وأوعز إليه في ألا يفعل شيئاً إلا بأمره لا سيما الرماة"[2]، فلما حدث ما حدث من عدم طاعة الرماة لأمر الرسول ﷺ ، والتفاتهم للغنائم، كان ذلك سبباً في الهزيمة والانكسار، هذا ما يتعلق بالسبب الأول الذي أدى إلى الهزيمة، عدم طاعة الرسول ﷺ، وقد دعت السورة إلى ضرورة طاعة الرسول ﷺ وذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ

---

(1) ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج8، ص345؛ أبو حيان، **البحر المحيط**، ج3، ص326. وينظر أيضاً: البقاعي، **نظم الدرر**، ج5، ص41.

(2) البقاعي، **نظم الدرر**، ج5، ص42.

رَحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ [آل عمران]، وبالنظر إلى الآيتين يتبين لنا نوع الموالاة هنا وهي طاعة ﷺ، فإن طاعته من أهم لوازم الولاء الصحيح.

ولعل من أشد الأسباب التي أدت إلى الهزيمة والخلل في صفوف المؤمنين، وجود البطانة الفاسدة في الجيش، وذلك يتمثل في وجود المنافقين ضمن صفوف المؤمنين، ويتمثل دور هذه البطانة الفاسدة في نشرها للفتنة وتثبيط عزائم المؤمنين، فانخزال ثلث الجيش بقيادة رأس المنافقين عبد الله بن أبيّ بن سلول[1]، أدى إلى تشتت الصف المؤمن، فهمت طائفتان بالرجوع وهذا ما دل عليه قوله تعالى: ﴿...إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا...﴾ [آل عمران: 122]، إلا أن الله عصمهم من ذلك، وأثنى على ثباتهم في المعركة، وذكرهم بولاية الله ونصره لهم[2]: ﴿...وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَاۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [آل عمران:122]، وفي ذلك إشارة إلى أنه متى ما حدث الخلل في الولاء والتوكل على الله، كانت النتيجة هي الهزيمة، لذلك عقبت الآية بضرورة إخلاص الولاء لله وحسن التوكل عليه "فمن كان الله ناصراً له ومعيناً له، فكيف يليق به هذا الفشل"[3]، لذلك نهت الآيات المؤمنين عن طاعة الكافرين والانجرار وراء شهواتهم، فإن استمع المؤمن لهذه الفئة الفاسدة وانقاد لأفكارها وتأثر بما يلقونه من فتن كانت العاقبة وخيمة، بل إن طاعتهم توجب الردى، وهذا ما أكد عليه قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾[آل عمران]، ومن خلال ما تم عرضه في آيات غزوة أحد، يتبين لنا نوع الموالاة وهي اتخاذ

---

(1) ينظر: البيهقي، أحمد بن الحسين، **دلائل النبوة**، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، (د.م: دار الكتب العلمية، ط1، 1988م)، ج3، ص220.

(2) ينظر: الطبري، **جامع البيان**، ج7، ص168.

(3) الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج8، ص345.

الكافرين أولياء وموضع قرب، وهذا ما دل عليه قوله تعالى في السورة:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ١١٨﴾، حيث عبرت الآية عن نوع من أنواع موالاة الكافرين وهي اتخاذهم بطانة وموطن قرب.

ورغم مرارة الهزيمة التي لحقت المسلمين، إلا أن السياق لم ينته إلا بتعزيز الثقة لدى المسلمين بربهم ومولاهم، فجاء في خاتمة آيات غزوة أحد في السورة بقوله تعالى:﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٧٥﴾ [آل عمران]، فالشيطان يخوّف المسلمين بأوليائه، وحق لكم أن تخافوا الله لا أولياء الشيطان، فهو مولانا، ونعم النصير، فالإيمان الحق هو الفيصل في بيان الولاء، إما لله، وإما للشيطان[1].

وبعد هذا العرض لمواضع آيات الولاء والبراء في سورة آل عمران، نرى من التناسق والتكامل في عرض موضوع الولاء والبراء في هذه السورة؛ فقد جاء الموضع الأول في السورة بنهي عام عن اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين (الآية 28)، ثم تأكيد هذا النهي بتوجيه خطاب للمؤمنين ينهى عن طاعة أهل الكتاب (الآية 100)، ومن ثم جاء الموضع الثاني في السورة ليبين لنا بعضاً من مظاهر الولاء والبراء وهو اتخاذ الكافرين بطانة وموضع قرب وثقة (الآية 118)، وطاعة

---

(1) ينظر: العليمي: مجير الدين بن محمد الحنبلي، **فتح الرحمن في تفسير القرآن**، تحقيق: نور الدين طالب، (د.م، دار النوادر، ط1، 2009م)، ج2، ص61. ينظر أيضًا: الشربيني: شمس الدين محمد، **السراج المنير**، (القاهرة: مطبعة بولاق، د.ط، 1285هـ)، ج1، ص267.

الكافرين عامة (الآية 149)، ثم ختمت الآيات (الآية 150) بحث المؤمنين على تحقيق الولاء لله وحده، "واتخاذه وليا وناصراً من دون كل أحد"[1].

[1] السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، ص151

المبحث الثالث: التناسق الموضوعي لآيات الولاء والبراء في سورة النساء

المطلب الأول: مدخل إلى سورة النساء

أولاً: نبذة عن السورة، وآيات الولاء والبراء فيها:

سورة النساء، سورة مدنية، ومن المواضيع التي تناولتها: الحديث عن تشريعات من عبادات وقضايا تنظم الأسرة وأحوال المستضعفين بشكل خاص، ومسائل القتال والسلم، ذكر أحوال أهل الكتاب والمنافقين...[1].

والدلالة السياقية لاسم (النساء) تركز على الضعف والاستضعاف، حيث اهتمت السورة ببيان تشريعات تضمن حقوق المستضعفين، وعلى وجه التحديد ما يتعلق بالنساء واليتامى، حيث يمثلان الفئة الأكثر استضعافاً في المجتمع[2]، فتحدثت السورة باستفاضة عن النساء حيث تمثل مسائلهن الجزء الأكبر من السورة، كما تحدثت عن مسائل اليتامى، ولا يقتصر الضعف على الضعف القهري، وإنما يشمل ذلك الضعف الإيماني، فكان الحديث عن المنافقين الذين يمثلون السبب الخفي للضعف في المجتمع.

وجاءت آيات الولاء في موضع رئيسي، وهو في سياق الحديث عن المنافقين: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾....يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ

---

(1) ينظر: الطنطاوي، **الوسيط**، ج3، ص9.

(2) ينظر: طهماز، **التفسير الموضوعي لسور القرآن**، ج2، ص6.

أَتُرِيدُونَ أَن تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا ﴿١٤٤﴾﴾ [النساء]، بالإضافة إلى خمسة مواضع تكرر فيها لفظ (الولي والنصير): الموضع الأول: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيّٗا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرٗا ﴿٤٥﴾﴾، الموضع الثاني: ﴿وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرٗا ﴿٧٥﴾﴾، الموضع الثالث: ﴿وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾﴾، الموضع الرابع:﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿١٢٣﴾﴾، الموضع الخامس:﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡتَنكَفُواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿١٧٣﴾﴾.

ثانياً: التناسق بين الوحدة الموضوعية للسورة واسمها:

ذكر بعض العلماء شيئاً من الوحدة الموضوعية للسورة، وسأذكر بعض هذه الأقوال:

قال البقاعي في بيان مقصود سورة النساء: جاءت هذه السورة لتدعو إلى الاجتماع والتعاطف، وذلك بعد أن قررت سورتا البقرة وآل عمران أمر التوحيد، وفي سبيل تحقيق الاجتماع والتعاطف بين أفراد المجتمع دعت السورة إلى تحقيق فضيلة العفة والعدل[1].

وذكر الزحيلي أن السورة تناولت الأسس والقواعد في بناء مجتمع إسلامي فاضل؛ وذلك من خلال تحقيق الاستقرار الداخلي (الأسرة)، والدعوة إلى تحقيق التناصح والتكامل والتراحم بين أفراد الأسرة، فإن كانت الأسرة قوية متماسكة كان ذلك سبيلاً لصلاح الأسرة الكبرى (المجتمع الإسلامي)، وفي سبيل تحقيق التكامل الإصلاحي بين الأسرتين، تحدثت السورة عن منظومة من

(1) ينظر: البقاعي، **نظم الدرر**، ج5، ص171، 172.

الأخلاق والتشريعات التي تحفظ كيان الأسرة المسلمة، بالإضافة إلى تنظيم العلاقات بين المؤمنين في المجتمع المسلم من جانب، وبين المؤمنين وأهل الكتاب والمنافقين من جانب آخر...[1].

وإذا أردنا أن نبين التناسق بين الوحدة الموضعية للسورة واسمها، نقول إن سورة النساء ورغم تنوع وموضوعاتها إلا أنها تعالج أحوال المستضعفين، لذلك جاءت بأحوال تؤدي إلى القوة والمنعة والحماية من جهة، بالإضافة إلى التبصير بالمواطن التي تؤدي إلى ضعف المجتمع، حتى يتجنب المؤمن هذه المواطن؛ فمن تلك الأحوال؛ الأحوال الاجتماعية التي تؤمن حقوق النساء واليتامى، القتال؛ لأنه أمر مهم في تحقق جانب العزة في المجتمع الإسلامي وحمايته، السياسية الشرعية والحكم والحقوق التي تؤدي إلى قوة البنيان السياسي، قضايا المنافقين؛ لأنهم السبب في الضعف الخفي للمجتمع، بالإضافة إلى الحديث عن أهل الكتاب، وفي ذلك تبصير للمؤمن حتى لا تشوَّه هويته.

المطلب الثاني: التناسق بين آيات الولاء والبراء في سورة النساء وبين الوحدة الموضوعية للسورة واسمها:

يظهر لنا التناسق بين آيات الولاء والوحدة الموضوعية واسم السورة إذا أنعمنا النظر في السورة، حيث إن السورة تعالج أحوال المستضعفين، فذكرت السورة أحوال المنافقين الذين يوالون الأعداء، وعلى وجه التحديد موالاتهم لأهل الكتاب، وولاء المنافقين يدل على ضعف الإيمان، حيث الركون إلى الكافرين وطلب العزة والقوة منهم، ومن جانب آخر فإن ولاء المنافقين من أهم أسباب الخلل

---

(1) ينظر: الزحيلي: وهبة، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، (دمشق: دار الفكر، ط3، 2003م)، م2، ص533، 554.

والضعف في المجتمع؛ لذلك جاءت آيات الولاء في الموضع الرئيسي: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾...﴾ لتبين ضعف المنافقين وطلبهم العزة من غير الله، والآيات دعوة للمؤمنين بتحقيق مقومات القوة والعزة، فالمؤمن يطلب العزة من جناب الله، ويلتجئ إلى عبودية الله سبحانه وتعالى، ويسعى إلى الانضام إلى حزب المؤمنين، فإن ذلك من أسباب قوة المجتمع[1].

وجاءت الآيات المتحدثة عن (الولي) و(النصير) في المواضع الخمسة في السورة، لتبين جزءاً من أسباب الضعف والقوة في المجتمع، حيث بينت الآيات كيد اليهود والمنافقين بالمؤمنين وهو ما يمثل جانب الضعف في المجتمع، ومن جانب آخر دعت الآيات إلى الجهاد في سبيل الله ونصره المظلومين، وذلك ما يمثل جانب القوة في المجتمع، بالإضافة إلى تقرير الآيات لضرورة الانتماء إلى الله سبحانه وتعالى وقوة الالتجاء إليه لأنه هو الولي النصير لعباده، فمن كان الله وليه وناصره فلا تضره عداوة الكافرين[2].

وبذلك يظهر لنا الارتباط بين آيات الولاء والبراء وبين الوحدة الموضوعية للسورة واسمها، حيث عالجت الآيات أسباب الضعف في المجتمع ودعت المؤمنين إلى تحقيق الولاء الصحيح والالتجاء إلى الله.

---

(1) ينظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج2، ص385.

(2) ينظر: الطبري، **جامع البيان**، ج8، ص429.

المطلب الثالث: التناسق بين آيات الولاء والبراء في سورة النساء وبين السياق الذي جاءت فيه

أولاً: مواضع آيات الولاء والبراء في سورة النساء

أتحدث هنا عن الاقتران بين لفظ (الولي) (النصير) في سورة النساء، حيث جاء في خمسة مواضع:

ومن مواضع ذكر (الولي والنصير) ما جاء في سياق الحديث عن كيد اليهود للمسلمين، فقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾﴾ [النساء]، فالآيات تصف سوء حال اليهود حيث جمعوا بين الضلال والإضلال، ضلالهم عن طريق الحق مع وضوح الأدلة، ومحاولتهم لإضلال المؤمنين عن الطريق المستقيم، وفي ذلك بيان لشدة عداوتهم. ومن جانب آخر فإن الآية تنبه المؤمنين بأن لا يتخذوهم أولياء، ومن جانب ثالث فإن الآية تطمين للمؤمنين بعدم الخوف من كيد الكائدين، لذلك ناسب أن تختم الآية بقوله تعالى:﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا﴾ فالله يتولى المؤمنين بالهداية والإرشاد والنصر، فمن كان الله وليه وناصره فلا تضره عداوة الكافرين[1].

أما الموضع الثاني فجاء في معرض الحديث عن الحث على القتال: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ

(1) ينظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج1، ص396؛ الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج10، ص119، ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج5، ص72.

أَهۡلُهَا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ [النساء]، فدعوا الله بأن يكون مولاهم وناصرهم[1]، وهذا مناسب للحديث عن الاستضعاف في الآية نفسها.

وجاء الموضع الثالث مع الآية الرئيسة الأولى في السورة، حيث التنبيه من كيد المنافقين وسوء نواياهم وإضلالهم المؤمنين، قال تعالى: ﴿فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيۡنِ وَٱللَّهُ أَرۡكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهۡدُواْ مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا ﴿٨٨﴾ وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ أَوۡلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡۖ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ [النساء]، والآيات تبين اختلاف المؤمنين في طريقة التعامل مع فئة المنافقين، وذلك بعد أن بينت الآيات كفرهم وغلهم وكيدهم للمسلمين؛ ففئة من الصحابة حققت الولاء لهم –بسبب ما يظهرونه من إيمان–، وفرقة لم تحقق الولاء لهم، فدعت الآيات إلى المنهج الأمثل في التعامل مع المنافقين، وهو البراءة منهم وعدم اتخاذهم أولياء وأنصارًا[2]، فالولاية للمنافقين لا تتحقق لهم إلا بتحقق الإيمان الصحيح، "والهجرة لأجل الإيمان لا حظ الدنيا"[3].

أما الموضع الرابع للفظ الولي والنصير فجاء في سياق بيان ميزان التفاضل والقرب من الله؛ فثواب الله لا ينال بالتمني إنما بالإيمان الصحيح والعمل الصالح[4]، وهي في سياق الرد على اليهود

---

(1) ينظر: مكي بن أبي طالب، **الهداية إلى بلوغ النهاية**، ج2، 1388.

(2) ينظر: القاسمي: محمد جمال الدين، **محاسن التأويل**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث، ط1، 1994م)، ج3، ص252.

(3) أبو حيان، **البحر المحيط**، ج4، ص8.

(4) ينظر: البيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ج2، ص99.

والنصارى: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾﴾ [النساء].

أما الموضع الخامس والأخير فجاء في خاتمة السورة في سياق الحديث عن محاجة النصارى أيضا، تعقيبا على جرأتهم في نسبة الشريك إلى الله تعالى، فكان من المناسب الحديث عن الطائفتين: المؤمنة والمشركة، فقال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أجورهم وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾﴾، فمن يترفع عن عبادة الله سبحانه وتعالى فله عذاب شديد يوم القيامة "ولا يجدون لهم من غير الله تعالى وليا يلى أمورهم...، ولا نصيرا ينصرهم"[1].

ثانيًا: الموضع الرئيس في سورة النساء:

وهو قوله تعالى: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ ... يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾﴾ [النساء].

جاءت الآيات في سياق الحديث عن المنافقين، وقبل ذلك كان الحديث عن الشيطان ومكره وتوعده أوليائه، فنبه الله المؤمنين إلى خطورة الشيطان ووسوسته في آيات متعددة، توسطها قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ [النساء:119]، وكأن الآيات

---

(1) المراغي: أحمد بن مصطفى، **تفسير المراغي**، (مصر: شركة ومكتبة مصطفى الحلبي، ط1، 1946م)، ج6، ص35.

تشير إلى أن أكثر من سيتبع الشيطان هم أهل النفاق الذين لا يرجون لله وقارا، فذكرت السورة بعضًا من صفاتهم، حتى يحذر المؤمن منهم، وفي السياق نفسه أمرت الآيات المؤمنين بالثبات على الإيمان والاستمرار عليه[1]، فبدأ سياق الآيات بالخطاب للمؤمنين ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ ..﴾ [النساء: 136].

ولما أمر الله المؤمنين بالثبات على الإيمان، انتقل السياق ليبين "فساد طريقة من يكفر بعد الإيمان"[2]، فذكرت الآيات فئة من الكفار من صفاتهم المتأصلة فيهم تكرار الردة والانتكاس في الدين حتى أصبح ذلك ديدنهم لتكرار هذا الفعل منهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ سَبِيلَۢا﴾ [النساء: 137]، وهذا التلاعب والتذبذب في الدين من صفات المنافقين كما دل عليه سياق الآيات، ويؤكد على أنهم من المنافقين ما جاء في وصفهم في سورة البقرة[3]: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ١٤﴾ [البقرة]، وبسبب استهزائهم بالإسلام والمسلمين، وتكرار الردة منهم، استحقوا أشد العذاب[4] ﴿بَشِّرِ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ١٣٨ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَيَبۡتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلۡعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا ١٣٩﴾ [النساء]، فجاءت الآيات بوصف للمنافقين يدل على انتكاسهم وتوغلهم في النفاق، وهو اتخاذهم الكافرين أولياء من دون

---

(1) ينظر: سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج2، ص9.

(2) الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج11، ص79.

(3) ينظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج1، ص443؛ ابن حيان، **البحر المحيط**، ج4، ص99.

(4) ينظر: ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، ج5، ص233.

المؤمنين، والآيات لا تصف ولاءهم فقط، إنما تصف تمسكهم وتوغلهم في النفاق، فإن طلب العزة والنصرة من الكافرين دليل على شدة التجائهم إلى الكافرين، فجاءت هذه الجملة: ﴿أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ﴾ [النساء:139]، بمزيد بيان على شناعة فعل المنافقين[1]، والأسلوب الإنكاري في الجملة دليل على جهالة فعل المنافقين الذين يتمسكون بموالاة الكافرين ظناً منهم أنهم سينالون العزة في ولائهم الفاسد[2]، ومن جانب آخر الدعوة للمؤمنين بأن لا يسلكوا نفس مسلك المنافقين في توهم العزة من الكافرين، "بل طلب العزة من جناب الله، والانتظام في جملة عباده المؤمنين"[3].

ويستمر سياق الآيات في بيان مواقف المنافقين التي تدل على تحقق هذه الصفة فيهم (موالاة الكافرين)، ومن تلك الصفات تربصهم بالمؤمنين، وتغير مواقفهم وتبدلها حسب المصالح، ومجالسة الكافرين والتودد إليهم[4] ، وهذا ما أشار إليه قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ

---

(1) ينظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج2، ص453؛ دروزة، **التفسير الحديث**، ج8، ص262.

(2) ينظر: أبو السعود، **إرشاد العقل السليم**، ج2، ص244.

(3) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج2، ص435.

(4) جاء النهي عن مجالسة الذين يستهزؤون بدين الله في سورة النساء: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتابِ أَنْ إِذا سَمِعْتُمْ آياتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِها وَيُسْتَهْزَأُ بِها فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ... (140)﴾، وفي سورة الأنعام: ﴿وَإِذا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آياتِنا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ... (68)﴾، ثم جاء النهي الصريح عن اتخاذ هذه الفئة أولياء، وذلك في سورة المائدة: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُواً وَلَعِباً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِياءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (57)﴾، فالآيات في =مجموعها تنهى عن اتخاذ المستهزئين أولياء، ومن ذلك مجالستهم واتخاذهم موضع قرب، " وذلك ليكون الشعب كله حارس لدينه موالياً له معلناً سيف المقاطعة والإنكار في وجه المستهزئين". الكيلاني: إبراهيم زيد،

مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡ وَإِن كَانَ لِلۡكَٰفِرِينَ نَصِيبٞ قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَسۡتَحۡوِذۡ عَلَيۡكُمۡ وَنَمۡنَعۡكُم مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿١٤٢﴾ [النساء] وكل تلك الأفعال تدل على تذبذب المنافقين وتشتت ولائهم، ولربما فعلوا من الطاعات الظاهرة كالصلاة والذكر، حتى يثبتوا أنهم في صف المؤمنين[1]، وقد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال في وصف المنافقين: «مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين، تعير إلى هذه مرة، وإلى هذه مرة»[2]، فالحديث يصف حال المنافقين المخادعين الذين يجعلون مصالحهم هي الحاكم في علاقتهم بالمؤمنين والكافرين، فهذا التردد من صفاتهم القبيحة[3]، وهذا ما دل عليه قوله تعالى: ﴿مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ... ﴾ [النساء: 143].

وبعد أن بين سياق الآيات تلك الصورة القبيحة عن المنافقين، وأن من مسالكهم الرديئة اتخاذهم الكافرين أولياء وأنصارا، انتقلت الآيات بالنداء إلى المؤمنين بأن لا يتخذوا الكافرين أولياء، فإن نداءهم بوصف الإيمان يميزهم عن المنافقين، فلا يسلكوا نفس مسلك المنافقين[4]، فقال تعالى:

خصائص الأمة الإسلامية الحضارية كما تبينها سورة المائدة، (عمان: المكتبة الوطنية، ط1، 2004م)، ص174.

(1) ينظر: الشعراوي: محمد متولي، **تفسير الشعراوي**، (د.م، مطابع أخبار اليوم، د.ط، د.ت)، ج5، ص2741.

(2) أخرجه مسلم في **صحيحه**، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، ج4، ص2146، رقم (2784).

(3) ينظر: الكرماني: محمد بن عز الدين الزيداني، **شرح مصابيح السنة للإمام البغوي**، كتاب الإيمان، باب الكبائر وعلامات النفاق، ج1، ص76، رقم (40).

(4) ينظر: سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج2، ص760.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينًا ١٤٤﴾ [النساء]، وهذه الآية جمعت بين محظورين؛ النهي الصريح عن الموالاة الكافرين، والنهي الموجه للمؤمنين بالحذر من الانضمام إلى فئة المنافقين والتشبه بأخلاقهم[1]، وفي ذلك تأكيد على قبح هذا الفعل وخطورته على عقيدة المؤمنين وعلى المجتمع الإسلامي، فمن لم يرتدع بهذا النهي ويتخذ الكافرين أولياء، فليحذر من وعيد الله له، لأن الحجة قد قامت عليه، فقال تعالى محذراً من هذا الفعل بعد أن نهى عنه: ﴿... أَتُرِيدُونَ أَن تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينًا﴾ [النساء:144]، "فإن توجيه الإنكار إلى الإرادة دون متعلقها بأن يقال: (أتجعلون) للمبالغة في إنكاره وتهويل أمره ببيان أنه مما لا يصدر عن العاقل"[2]، فإن موالاة الكافرين من الأدلة الواضحة على النفاق، والمؤمن يسعى إلى حماية إيمانه، والانضمام إلى زمرة المؤمنين، لا زمرة المنافقين.

ومن ثم ينتقل سياق الآيات من الحديث عن المنافقين إلى الحديث عن جزائهم الذي ينتظرهم يوم القيامة، وهذا الانتقال دليل على أن فاعل هذا الفعل قد انضم إلى فئة المنافقين[3]، فليحذر المؤمن الصادق من هذا الفعل لأن عاقبته شديدة، فقد بينت الآيات العذاب الشديد الذي ينتظر المنافقين ومن تشبه بهم، فقال تعالى مبيناً منزلة المنافقين في النار: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ...﴾ [النساء: 145]، وهذا العذاب الشديد متناسب مع فعلهم لأنهم جمعوا بين الكفر والخبث، بالإضافة إلى استهزائهم بالإسلام والمسلمين[4]، واستثنى الله سبحانه وتعالى من

---

(1) ينظر: الطبري، **جامع البيان**، ج9، ص336؛ سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج2، ص 250.

(2) أبو السعود، **إرشاد العقل السليم**، ج2، ص246.

(3) ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج5، ص242.

(4) ينظر: **الخازن، لباب التأويل**، ج1، ص440.

عموم هؤلاء المنافقين: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمًا ١٤٦﴾ [النساء]، وهم الذين تابوا توبة نصوحا، وهذه التوبة النصوحة لا بد أن يشترط فيها ثلاثة شروط مجتمعة: الإصلاح والاعتصام والإخلاص، فلا يكفي إصلاح العمل في قبول توبة المنافق، بل لا بد من الاعتصام بالله وحده والتمسك بالدين ففي ذلك قوة وثبات، وذكر هذه الشروط مناسب لسياق الآيات المتحدثة عن المنافقين الذين من صفاتهم التذبذب والرياء، وموالاة الكافرين، وتوهم العزة في الكافرين، والتربص بالمؤمنين، فلما كان المنافق متصفاً بهذه الصفات والتي هي نقيض هذه الشروط الثلاثة، شرط في توبتهم ما يناقض تلك الأوصاف[1].

ومن ثم ينتقل السياق من الحديث عن النفاق وأهله، إلى الحديث عن أهل الكتاب وبيان كفرهم وتعنتهم، ومجيء الحديث عن أهل الكتاب بعد آيات النفاق، يوضح لنا شيئاً من ولاء المنافقين، حيث إن المنافقين يتركون الولاء لأهل الإيمان، ويلجؤون إلى أهل الضلال، وفي ذلك إشارة أن أكثر من يلجأ إليهم المنافقون في ولائهم هم أهل الكتاب، وهذا هو واقع الأمة قديما وحديثا، فالتاريخ الإسلامي حافل بالتعاون بين المنافقين وأهل الكتاب؛ كما حدث في الأندلس، وكما حدث في بلاد الشام من دخول للصليبيين وسقوط الخلافة الإسلامية، وواقع الأمة اليوم لا يختلف كثيراً عن تاريخها، حيث العلاقات مع اليهود والنصارى التي انتشرت في الدول الإسلامية.

---

(1) أبو حيان، **البحر المحيط**، ج4، ص113، سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج2، ص251.

الفصل الثالث: التناسق الموضوعي لآيات الولاء والبراء في سور المائدة والأنفال والتوبة

المبحث الأول: التناسق الموضوعي لآيات الولاء والبراء في سورة المائدة.

المبحث الثاني: التناسق الموضوعي لآيات الولاء والبراء في سورة الأنفال.

المبحث الثالث: التناسق الموضوعي لآيات الولاء والبراء في سورة التوبة.

المبحث الأول: التناسق الموضوعي لآيات الولاء والبراء في سورة المائدة

المطلب الأول: مدخل إلى سورة المائدة:

أولاً: نبذة عن السورة، وآيات الولاء والبراء فيها

سورة المائدة، سورة مدنية باتفاق، ومن الموضوعات التي تناولتها السورة: التشريعات؛ مثل مسائل الحلال والحرام في الأطعمة والنكاح، والوضوء والتيمم، والقصاص والحرابة...، ومن موضوعاتها الرئيسة: الحديث عن أهل الكتاب؛ حيث بيان رذائل أعمالهم، وإبطال معتقداتهم الفاسدة، وأصول معاملة المؤمنين لهم[1]، وبعض القصص القرآني مثل: قصة ابنيْ آدم، وقصة موسى – عليه السلام– مع قومه، وقصة الحواريين مع نبيهم عيسى –عليه السلام– في شأن المائدة.

سميت بسورة المائدة؛ لأنها انفردت بذكر قصة المائدة التي طلبها الحواريون، وإذا دققنا في السياق الذي جاء فيه ذكر المائدة، فالسياق كله يتحدث عن عيسى عليه السلام والحواريين، وهذا الطلب الغريب، وذلك الامتنان من الله على عبده عيسى، وذلك السؤال من الله لعيسى عليه السلام عن شرك قومه بما ابتدعوه من تأليه عيسى وأمه، إلى نهاية السورة، فموضع ذكر (المائدة) في هذا السياق يظهر الغاية التي من أجلها سميت كذلك، فالمائدة للدلالة على الشيء المادي، وعجيب أن يطلب الحواريون الذين اشتهروا بروحانياتهم أمراً مادياً، ربما يعكس هذا ميول الإنسان الداخلية، وجنوحه إلى المادة، وسرعة تقلبه في أحواله، من هنا كان الحديث في أول السورة عن إكمال الدين وإتمام النعمة والرضا عن الدين الإسلامي، وكان الحديث عن التوجه إلى الله في العبادة الخالصة

---

(1) ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج6، ص72، 73.

الطاهرة، والحديث عن تردد بني إسرائيل في مبادئهم، وتلك التشريعات التي تضبط المسلم في قلبه ولسانه وجوارحه، كي تصل بالمسلم إلى تمام الثقة بدينه، فلا يتنكب صراط ربه.

وجاءت آيات الولاء والبراء في السورة في سياق الحديث عن أهل الكتاب، وذلك في موضعين: الموضع الأول في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ ...٥١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٥٧﴾، والموضع الثاني في قوله تعالى: ﴿تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ ٨٠ وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمۡ أَوۡلِيَآءَ...٨١﴾، حيث بيان أسباب أخرى للنهي عن ولائهم، فهم يتولون الذين كفروا، وهم مضطربون في عقيدتهم، فكيف لا يكونون مضطربين في ولائهم.

ثانيًا: التناسق بين الوحدة الموضوعية للسورة واسمها:

ذكر بعض العلماء شيئًا عن الوحدة الموضوعية للسورة، وأكتفي بذكر ما قاله سيد قطب عنها، بأن سورة المائدة تدور حول أصلين؛ الأول: تصحيح التصور الاعتقادي وبيان معنى الدين الذي ارتضاه الله لعباده، والثاني لبيان التلازم بين الدين وبين الحكم بما أنزل الله[1].

لم لا نقول إن محور السورة يدور حول النزعة المادية التي تسيطر على الإنسان، تستهويه وربما تشتت مبادئه وتضعف علاقته بربه ودينه وعصبته؛ لهذا ابتدأت بخطاب المؤمنين بالوفاء بالعقود، واختتمت بالثناء على صفة الصدق، وبينهما قصص وحقائق كلها تجمع بين الإيمان والسلوك، بين

(1) ينظر: سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج2، ص 304؛309

العقل والعاطفة، فلا بد من ميزان ضابط، فإن طغت المادة تم التجاوز إلى الحرام والعدوان والجبن وترك الحكم بما أنزل الله، وتشتت الولاء، بل الردة عن الدين، وهذا ما جرى لليهود، وما آل بالنصارى من شرك بالله

وبعد أن بينت التناسق بين الوحدة الموضوعية للسورة واسمها، أذكر في المطلب الثاني علاقة هذا التناسق بآيات الولاء والبراء في السورة.

المطلب الثاني: التناسق بين آيات الولاء والبراء في سورة المائدة، وبين الوحدة الموضوعية للسورة واسمها:

يظهر لنا التناسق بين الوحدة الموضوعية واسم السورة أن آيات الولاء والبراء في سورة المائدة جزء من هذا الطغيان المادي على حساب المبادئ، فأصل الولاء هو لله ورسوله والمؤمنين، ولا ينحرف المسلم عن هذا المبدأ إلا محفزات مادية ناتجة عن ضعف الإيمان، فيختلق الأعذار الضعيفة التي يريد الانطلاق منها ليثق بغير الله، ويركن إلى غير الله، ويواد من حاد الله ورسوله والمؤمنين؛ لذلك جاء الموضع الأول في السورة ليبين نوعا من أنواع الطغيان المادي، وهو الركون إلى الدنيا وشهواتها، فتحدثت الآية عن تحقق هذا الطغيان في نفوس المنافقين[1] ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ ...﴿٥٢﴾﴾ [المائدة]، وجاء الموضع الثاني ليعالج مسألة الطغيان والركون إلى الدنيا وشهواتها، وذلك من خلال تأسيس الآيات لقاعدة مهمة وهي التلازم بين الإيمان والولاء، فمن لوازم الإيمان الصحيح عدم اتخاذ الكافرين أولياء، فلا

---

(1) ينظر :الأصفهاني، **تفسير الراغب الأصفهاني**، ج4، ص377.

يجتمع في قلب المؤمن محبة الله ورسوله ومحبة الكافرين[1]، هذا ما دل عليه قوله تعالى:﴿وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ٨١﴾ [المائدة]، وبذلك يظهر لنا تكامل السورة في عرض مسألة الولاء والبراء، حيث بينت سبب تشتت الولاء وهو طغيان المادة على المبادئ، ثم بينت علاج ذلك، فدعت إلى تحقيق الإيمان الصحيح والثبات عليه.

(1) ينظر: الطبري، **جامع البيان**، ج10، ص479.

المطلب الثالث: التناسق بين آيات الولاء والبراء في سورة المائدة، والسياق الذي جاءت فيه

أولًا: الموضع الأول في سورة المائدة:

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥١﴾ [المائدة].

جاءت الآيات في سياق الكلام عن أهل الكتاب، حيث بينت الآيات بعض صفاتهم السيئة وأفعالهم القبيحة، فذمت الآيات اليهود والنصارى بسبب نقضهم العهود والمواثيق التي كتبها الله عليهم، وبسب مقولات الكفر التي قالوها، والتي لا تليق بعظمة الله سبحانه وتعالى. وينقلنا السياق إلى الحديث عن اليهود، فبينت الآيات بعض فسادهم وسوء أدبهم مع الله والرسل وذلك على أبواب الأرض المقدسة التي وعدهم الله، وكيف نقضوا عهد الله فكان جزاؤهم الخزي[1].

ومن ثم ينتقل بنا سياق الآيات إلى ذكر أفعال الكافرين وصفاتهم، فجاء الحديث عن المسارعين في الكفر، وهم حسب سياق الآيات طائفتين؛ طائفة المنافقين الذين يسارعون في موالاة الأعداء والتعاون معهم للكيد بالإسلام والمسلمين، وطائفة من أهل الكتاب يقدمون آراءهم وأهواءهم على شرع الله[2]، فلم يحكموا بما أنزل الله في التوراة والإنجيل، إنما التشتت واتباع الهوى، وقد وصفت الآيات هؤلاء الذين لا يتبعون شرع الله بأنهم كافرون، ظالمون، فاسقون، وإن كان هذا حال اليهود والنصارى مع كتبهم، فإن الله أمر المؤمنين أن يحكموا بما أنزل الله، فإن الالتزام بشرع الله

---

(1) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج4، ص 302.

(2) ينظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج1، ص؛ ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج 3، ص 113.

يقي المسلم من الوقوع في الزلل، ويضبط العلاقات مع الآخرين، وبعد آيات الحاكمية مباشرة جاءت آيات النهي عن موالاة اليهود والنصارى ومن والاهم من المنافقين، ويظهر لنا التناسق بين قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ...٥١﴾ [المائدة]، وبين سياق الآيات، في بيان السبب الداعي للنهي عن اتخاذ اليهود والنصارى أولياء، وذلك راجع إلى شدة كيدهم وعداوتهم للإسلام وما اتصفوا به من صفات قبيحة، فلا يتصور من مؤمن أن يجتهد في محبتهم ويسعى لولائهم، لذلك جاء النهي بصيغة الافتعال: ﴿لَا تَتَّخِذُواْ﴾، للدلالة عن شدة الزجر عن هذا الفعل[1]، فاليهود والنصارى وإن كان بينهم عداوة إلا أنهم متفقون فيما بينهم على المؤمنين وذلك بجامع الكفر[2] (بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ)، لذلك ناسب أن تذكر الآية الحكم المستنتج من موالاة الأعداء: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾، فمن يتولى اليهود والنصارى فإنه من جملتهم، وذلك لأن الموالاة بين المؤمن والأعداء لا تتحقق إلا بتحقق المحبة والنصرة والعشرة، والتي يجب أن تكون للمؤمنين[3].

ثم شرعت الآيات في بيان فئة تسارع في موالاة اليهود والنصارى، وهذه الفئة هي فئة المنافقين كما دلت على ذلك الآية: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ﴾ [المائدة:52]، وفي وصفهم بأنهم (يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ)، للدلالة على تمكنهم من صفة الولاء، بل إن تشتت الولاء من الصفات التي يعرف بها المنافقون[4].

---

(1) ينظر: البقاعي، **نظم الدرر**، ج6، ص 186؛ الطنطاوي، **الوسيط**، ج4، ص188.

(2) ينظر: أبو السعود، **إرشاد العقل السليم**، ج3، ص48.

(3) ينظر: أبو السعود، **إرشاد العقل السليم**، ج3، ص48؛ ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج6، ص228.

(4) ينظر: الراغب الأصفهاني، **تفسير الراغب**، ج4، ص377؛ الآلوسي، **روح المعاني**، ج3، ص325.

ولما نهى الله سبحانه وتعالى عن موالاة اليهود والنصارى، وأن من يتولهم فإنه منهم، جاء قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٥٤﴾ [المائدة]، لبيان الحكم المترتب على موالاة اليهود والنصارى ومن على شاكلتهم، وهو الردة عن الدين [1]، وفي بيان هذا الحكم دعوة للمؤمنين بأن يحذروا من موالاة الأعداء لأن ذلك سبب في ضعف الدين، فالمؤمن يسعى لأن يكون دينه قويًا، فمن يتول الأعداء بعد بيان هذا الحكم فالنتيجة ردة عن الدين، وعندها لا بد من الاستبدال، بأن يأتي الله بقوم يتميزون بالصلاح والثبات على الدين[2]، يحققون متطلبات الولاء الصحيح وهي كما بينتها الآية؛ محبة الله، والذلة على المؤمنين، والعزة على الكافرين، والجهاد في سبيل الله.

وصفهم الله بأنهم: (فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ)، فحب الله فيه معاني الإيمان والخضوع والاستسلام لأمر الله، فالمؤمن مشبع بحب الله، محققًا لكمال الطاعة، ومن كمال طاعته ألا يتخذ الأعداء أولياء، ولهذا ناسب أن تبدأ الآية بذكر الذلة على المؤمنين، ثم العزة على الكافرين وذلك للإشارة أن الذل والولاء بين المؤمنين يكاد يكون مفقودًا، لذلك نبهت الآية المؤمنين إلى طبيعة العلاقة التي يجب أن تكون فيما بينهم: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ ويقصد بالذل "الرفق ولين

---

(1) ينظر: البقاعي، **نظم الدرر**، ج6، ص190، 191؛ أبو السعود، **إرشاد العقل السليم**، ج 3، ص50.

(2) ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج6، ص234؛ القرضاوي: يوسف، **فقه الجهاد**، (القاهرة: مكتبة وهبة، ط3، د.ت)، ج2، ص 1148.

الجانب، ولتضمين الذل معنى الحنو والعطف عدي بـ (على) دون اللام"[1]، وبهذه المعاني يؤسس الله سبحانه وتعالى إلى مسألة الولاء الحقيقي في قوله تعالى: ﴿إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَهُمْ راكِعُونَ (55) وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغالِبُونَ (56)﴾، فحقيقة الولاء يجب ان تكون لله سبحانه وتعالى، لذلك جيء بلفظ (الولي)، لدلالة على أنها الأصل والأساس، فإن حقق المؤمن الولاية لله، انتظمت ولاية الرسول والمؤمنين على سبيل التبع[2].

وبعد أن تناول سياق الآيات السابق النهي عن موالاة اليهود والنصارى، جاءت الآيات لتؤكد هذا النهي، مع التنبيه على علة أخرى موجبة للبراءة منهم[3]، فقال تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُواً وَلَعِباً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِياءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: 57]، فالآية تنهى عن اتخاذ أهل الكتاب والكافرين أولياء، وعللت الآية سبب النهي لأنهم: ﴿اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُواً وَلَعِباً﴾، فهؤلاء يستهزئون بالإسلام وقيمه وشعائره، ويستهزئون بالمؤمنين وهم يقومون بشعائر دينهم، ومن ذلك استهزاءهم بالصلاة[4]، فالآية تدل على شدة عداوة اليهود والنصارى والكافرين للإسلام والمسلمين.

---

(1) النيسابوري، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، ج2، ص604. ينظر أيضا: الرازي: محمد بن أبي بكر الحنفي، **أنموذج جليل**، تحقيق: عبد الرحمن إبراهيم، (الرياض: دار عالم الكتب، ط1، 1991م)، ص107.

(2) ينظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج1، ص648.

(3) ينظر: البقاعي، **نظم الدرر**، ج6، ص 194؛ ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج6، ص241.

(4) ينظر: الخالدي، **الشخصية اليهودية من خلال القرآن**، ص214

ثانيًا: الموضع الثاني في سورة المائدة:

قوله تعالى: ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ٨٠ وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ٨١﴾.

تناول سياق الآيات كفر اليهود والنصارى، وأنهم ليسوا على شيء مما ادعوه من الإيمان بأنبيائهم، وأن إيمانهم لا يتحقق حتى يؤمنوا بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم [1]. ثم ينتقل السياق ليبين لنا أحوال أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وبيان كفرهم وبعضًا من أفعالهم القبيحة ومقولات الكفر التي قالوها، تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا. وذكرت الآيات السجل الحافل لبني إسرائيل بالكفر والعصيان والانحطاط الأخلاقي، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨﴾[المائدة]، فإن الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل في قوله تعالى:﴿ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ﴾، دليل على تمكن صفتي العصيان والاعتداء، فالعصيان أمر قديم فيهم، والاعتداء أمر متكرر ومستمر منهم[2]، فحال اليهود في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يختلف عن أسلافهم، وقد وصفتهم الآيات بما يدل على انحرافهم وتشتتهم، فجاء قوله تعالى: ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ﴾ [المائدة: 80]، للدلالة على فساد أخلاقهم[3]، فهذه الفئة من اليهود أظهرت الإسلام وأبطنت الكفر،

---

(1) ينظر: الطبري، **جامع البيان**، ج10، ص473.

(2) ينظر: أبو السعود، **إرشاد العقل السليم**، ج3، ص69؛ ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج6، ص293.

(3) ينظر: البقاعي، **نظم الدرر**، ج6، ص266.

فأصبحت من زمرة المنافقين الذين من أبرز صفاتهم اتخاذ المشركين أولياء[1]، وفي ذكر الولاء الذي كان بين الطرفين، دليل على اجتماع اليهود والمشركين على العداوة والكيد للإسلام والمسلمين[2]، كما بينه قوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ..﴾ [المائدة: 82].

ومن خلال بيان التناسق بين الموضعين في سورة المائدة، فإن الموضع الثاني تأكيد للنهي عن اتخاذ اليهود والنصارى أولياء، وتأكيد على أن موالاة الأعداء من صفات المنافقين المتمكنة فيهم، بالإضافة إلى أن كِلا الموضعين يبينان عاقبة سوء اتخاذ الأعداء أولياء؛ حيث سلب الإيمان والردة، بدليل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾ [المائدة: 51]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمۡ أَوۡلِيَآءَ﴾ [المائدة: 81]، فالإيمان الخالص يوجب عدم موالاة الكافرين[3].

---

(1) ينظر: الواحدي: علي بن أحمد، **تفسير البسيط**، تحقيق: محمد فوزان، أشرف على طباعته وإخراجه عبد العزيز آل سعود، تركي العتيبي، (المملكة العربية السعودية: مكتبة الملك فهد الوطنية، ط1، 1430م)، ج7، ص 491– 492؛ النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، ج1، ص468.

(2) ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج12، ص 70.

(3) ينظر: ابن تيميه :أحمد بن عبد الحليم، **مجموع الفتاوى**، تحقيق: عبد الرحمن بن قاسم، (المدينة النبوية: مجمع الملك فهد، د.ط، 1416/ 1995م)، ج7، ص18.

المبحث الثاني: التناسق الموضوعي لآيات الولاء والبراء في سورة الأنفال

المطلب الأول: مدخل إلى سورة الأنفال:

أولاً: نبذة عن سورة الأنفال، وآيات الولاء والبراء فيها:

سورة الأنفال سورة مدنية، تناولت في موضوعها "غزوة بدر الكبرى، فعرضت أحداثها الظاهرة، كما تعرض بشارات النصر فيها، وقد وجهت السورة خمسة نداءات للمؤمنين، وما اشتملت عليه من توجيهات وإرشادات[1]، واشتملت السورة على بعض مسائل الجهاد: الأسرى، المعاهدات، السلم والحرب، الهجرة وما يترتب عليها من ولاية[2].

وبالنظر إلى السياق الذي جاء فيه (الأنفال)، "فإن سؤال الصحابة عن الأنفال يقتضي أن يكون قد وقع بينهم تنازع وتنافس"[3]، فكأن ذكر الأنفال دليل على السعي وراء الأمور الدنيوية، وذلك مظنة الاختلاف والتشتت والضعف عند قتال العدو[4]، لذلك افتتحت السورة بمسألة الأنفال والتي حقها التأخير، لبيان أهمية إصلاح ذات البين بين المؤمنين، والمبادرة إلى حل أي سبب قد يؤدي إلى الاختلاف وتشتت الصف المؤمن[5].

---

(1) الطنطاوي، **الوسيط**، ج6، ص 9؛ 11.

(2) ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج9، ص247.

(3) الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج15، ص 118.

(4) ينظر: الغرناطي، **البرهان في تناسب السور**، ص103.

(5) ينظر: طهماز، **التفسير الموضوعي لسور القرآن العظيم**، ج3، ص 203.

وجاءت آيات الولاء والبراء في السورة في موضعين، أولهما في معرض الحديث عن الكافرين وأوصافهم، ودعوتهم إلى أن ينتهوا عن عداوتهم لأهل الإيمان، فإن عادوا فهي سنة الله تعالى في المدافعة، ولا بد من القتال، فكان التمهيد للحديث عن غزوة بدر بتفصيل بعض أحداثها، وقبل ذلك يؤكد السياق على أن الله هو وحده الناصر لعباده، فقال تعالى: ﴿وَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾﴾ [الأنفال].

أما الموضع الثاني في السورة، فجاء في خاتمتها، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ... ﴿٧٢﴾وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۖ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾، وهي في سياق بيان طبيعة الموالاة بين المهاجرين الأوائل والأنصار.

ثانياً: التناسق بين الوحدة الموضوعية للسورة واسمها:

تدور سورة الأنفال حول محور عام وهو الحديث عن "فرائض الجهاد ووعد سطوع الحق والتطهير"[1]، فتضمنت السورة منهجًا ربانيًا لإرشاد المؤمنين إلى الطريقة الصحيحة في مواجهة العدو والثبات عند المواجهة[2].

---

(1) الفراهي، **دلائل النظام**، ص94.

(2) ينظر: الصابوني: محمد علي، **صفوة التفاسير**، (قطر: دار إحياء التراث، ط1، 1981م)، ج1، ص491.

وإذا أردنا أن نبين التناسق بين موضوعات السورة وبين اسم السورة؛ فإن سورة الأنفال "جاءت لتجرد المؤمنين من كل مطمع ومغنم ليكون جهادهم في سبيل الله خالصًا لله"[1]، فيتحقق النصر بإذنه، وفي سبيل تحقيق ذلك نادت السورة المؤمنين بالالتزام بالمنهج الرباني: الطاعة الكاملة لله وللرسول، وإصلاح أمور المسلمين بالاجتماع والتوحد، وحل مسائل الخلاف والتنازع، فإن ذلك من مقومات النصر والعزة كما بينتها سورة الأنفال. وبعد أن بينت التناسق بين الوحدة الموضوعية للسورة واسمها، أذكر في المطلب الثاني علاقة هذا التناسق بآيات الولاء والبراء في السورة.

المطلب الثاني: التناسق بين آيات الولاء والبراء في سورة الأنفال، وبين الوحدة الموضوعية للسورة واسمها:

جاءت آيات الولاء والبراء في خواتيم السورة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ...﴾ [الأنفال:72]، فالآيات تتحدث عن الولاء الذي كان بين المهاجرين والأنصار والتزامهم بالمنهج الرباني، ولعل من آكد ما يحث المؤمنين على وجود الولاء الخالص بينهم هو الإخبار عن الكافرين أنهم أولياء بعض: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ...﴾ [الأنفال:73]، وجدير بالمؤمنين أن يكون ولاؤهم بينهم أعمق وأقوى، فما كان لله دام واتصل، وما كان لغير الله انقطع وانفصل.

ولعل مجيء آيات الولاء في آخر السورة، والاختلاف في الأنفال في أولها، للإشارة إلى بعض مواطن الخلل التي يجب أن ننتبه إليها، فكل أمر من هذين مهم في سبيل تماسك المجتمع عموما، وحين لقاء العدو خصوصا، وهو موضوع سورة الأنفال الرئيسي.

---

(1) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج3، ص417

المطلب الثالث: التناسق بين آيات الولاء والبراء في سورة الأنفال، وبين السياق الذي جاءت فيها:

التناسق بين قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ... ٧٢ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ... ٧٣﴾، وبين السياق الذي جاءت فيه:

جاءت آيات الولاء والبراء في خاتمة سورة الأنفال، وكأنها تذكر المؤمنين بأهم ما يمكن أن يضمن لهم الإيمان والنصر، ويجنبهم الاختلاف والهزيمة، وقبل هذه الآيات كان السياق يتحدث عن قواعد النصر والعزة وما يقابلها من قواعد الهزيمة والانكسار، فبعد أن ذكر الله المؤمنين بنعمة الله عليهم في غزوة بدر وتأييده لهم بالملائكة والنصر...، جاء سياق الآيات ليذكر المؤمنين بقواعد النصر والغلبة، حتى لا يظن ظان أن النصر يتحقق بطلب العون من الله والثقة به دون الإعداد الروحي والعسكري[1].

فرسمت الآيات المنهج الرباني الذي يجب على المؤمنين الالتزام به [2]: طاعة الله ورسوله والتحرر من شهوات النفس، الثبات في مواجهة العدو، الاجتماع وتوحيد الصف[3]، وذلك يستوجب "تحصيل أسباب التفاهم والتشاور ومرجعة بعضهم بعضًا حتى يصدروا على رأي واحد..."[4]، وهذا

---

(1) ينظر: الخطيب: عبد الكريم يونس، **التفسير القرآني للقرآن**، (القاهرة: دار الفكر العربي، د.ط، د.ت)، ج5، ص 627.

(2) ينظر: الطبري، **جامع البيان**، ج13، ص574.

(3) ينظر: النسفي، **مدارك التنويل**، ج1، ص649.

(4) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج10، ص30.

ما بينته الآيات في سورة الأنفال:﴿...ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١ ﴾، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ... ٢٠﴾، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٤٥ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٤٦ ﴾ [الأنفال].

ولم يغفل سياق الآيات عن بيان موقف المشركين، فبينت الآيات شدة كيدهم برسول الله وصحابته وذلك في مكة المكرمة، حيث الفتنة في الدين والتعذيب والصد عن المسجد الحرام...، فموقف المشركين يدل اجتماعهم وتألبهم على المؤمنين والكيد بهم، ولذلك كانت الهجرة إلى المدينة المنورة حيث الفرار من المشركين حفاظًا على الدين[1].

وبعد أن تناولنا سياق الآيات، تأتي آيات الولاء والبراء في ختام السورة لتؤكد على ضرورة الولاء بين المهاجرين والأنصار، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ...٧٢ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ... ٧٣﴾.

والتناسق بين السياق والآيات يظهر لنا من عدة جوانب؛ فسورة الأنفال قد ركزت على التلازم بين طاعة الله والرسول وبين وحدة الصف وعدم التنازع، ومن ثم أوردت السورة تطبيقًا عمليًا يدل على تحقق ذلك، فمدحت الآيات فعل المهاجرين رضوان الله عليهم الذين جمعوا بين الهجرة

---

(1) ينظر: البيضاوي، **أنوار التنزيل**، ج3، 56؛ الجزائري: جابر بن موسى، **أيسر التفاسير**، (د.م، د.ن، ط3، 1995م)، ج2، ص302.

والجهاد بالأموال والأنفس في سبيل نصرة الإسلام والمسلمين، فموقف المهاجرين دليل على بلوغ محبة الله ورسوله أسمى مكانة في قلوبهم، وأن حظوظ الدنيا لا مكانة لها في قلوبهم[1]، ومدحت الآية فعل الأنصار الذين حققوا أسمى معاني الولاء والنصرة لرسول الله صلى الله على عليه وسلم ومن هاجر معه من الصحابة رضوان الله عليهم، وبعد أن ذكر الله سبحانه وتعالى هاتين الفئتين ذكر ما بينهم من ولاية ﴿.. بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ...﴾[الأنفال:72]، وهذه الولاية تحمل معنى النصرة والعون والاجتماع في مواجه العدو[2]، وقد ذكر عدد من المفسرين هذا المعنى للولاية[3]، بالإضافة إلى الولاية بالتوارث، واستمر الأمر بالتوارث بين المهاجرين والأنصار رضوان الله عليهم فترة من الزمن، ثم نسخت هذه الولاية[4] بقوله تعالى: ﴿...وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۗ..﴾ [الأنفال:75].

والجانب الآخر في التناسق، أن الآيات تتحدث عن كيد المشركين، واجتماعهم على محاربة المؤمنين، فناسب ذلك أن تختم السورة بالحديث عن الولاء بين الكافرين: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ

---

(1) ينظر: ابن العربي: محمد بن عبد الله، **أحكام القرآن**، تخريج: محمد عبد القادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط3، 2003م)، ج2، ص239؛ الغرناطي: أحمد بن إبراهيم، **ملاك التأويل بذوي الإلحاد والتعطيل**، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت)، ص225.

(2) ينظر: الطبري، **جامع البيان**، ج14، ص77، 78.

(3) ينظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج2، ص555؛ الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج15، ص516؛ أبو حيان، **البحر المحيط**، ج5، 357، وغيرهم

(4) ينظر: البغوي، **معالم التنزيل**، ج3، ص379؛ الزمخشري، **الكشاف**، ج2، ص40؛ النسفي، **مدارك التنزيل**، ج1، ص659؛ ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج4، ص95.

أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ...﴾ [الأنفال:73]، فالآية بينت طبيعة العلاقة بين الكافرين من جانب، ومن جانب آخر فإن الآية تدل على النهي المبطن عن موالاة الكافرين ونصرتهم، لأن ذلك سبب للفتنة والفساد في المجتمع[1].

(1) ينظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج2، ص240.

المبحث الثالث: التناسق الموضوعي لآيات الولاء والبراء في سورة التوبة

المطلب الأول: مدخل إلى سورة التوبة:

أولاً: نبذة عن سورة التوبة، وآيات الولاء والبراء فيها:

سورة التوبة سورة مدنية من أواخر ما نزل، ومن أسمائها (براءة)، والتناسب بينها وبين سورة الأنفال في موضوع الولاء والبراء واضح؛ فسورة الأنفال ربت المؤمنين على الولاء والبراء من خلال ذكر الأسوة الحسنة في الولاء، والنهي عن موالاة الكافرين، ثم جاءت سورة التوبة بمزيد تأكيد وبيان[1]، وتناولت سورة التوبة موضوع الولاء والبراء بشيء من التفصيل؛ إذ السورة في مجملها عالجت هذا الموضوع، والتناسق بين موضوعات السورة واضح وبين؛ فصدرت السورة البراءة من المشركين، حيث التمهيد لقطع العلاقات مع المشركين وأهل الكتاب ومن على شاكلتهم، ثم تأتي السورة للحديث عن غزوة تبوك والمقارنة بين مواقف المؤمنين والمنافقين في قضية الولاء والبراء، ومن ثم ختمت السورة بالتأكيد على البراءة من المشركين؛ فكان الحديث عن النهي عن الاستغفار للمشركين، والأسوة الحسنة في الولاء الصحيح حيث براءة نبي الله إبراهيم عليه السلام من أبيه بسبب كفره.

ثانيًا: التناسق بين الوحدة الموضوعية للسورة واسمها:

تناول العلماء الوحدة الموضوعية للسورة من عدة جوانب إلا أنهم متفقون على أن السورة تدور حول محورين رئيسيين، ويمكن تلخيص ما ذكره العلماء فأذكر الآتي:

---

(1) ينظر: الآلوسي، **روح المعاني**، ج5، ص236.

تدور سورة التوبة على محورين؛ المحور الأول ما يتعلق بتنظيم العلاقات النهائية في المجتمع المسلم، وفي سبيل تنظيم العلاقات بينت السورة أن رابطة العقيدة هي الأساس في تحديد طبيعة العلاقات بين الأفراد، وعلى أساس رابطة العقيدة كان الأمر بقطع العلاقات بين المؤمنين والمشركين وأهل الكتاب وكل من أعرض عن توحيد الله، وقد ترتب على هذه البراءة دعوة المؤمنين للنفير وقتال الكافرين المحاربين للإسلام والمسلمين، وفي هذا السياق جاء المحور الثاني المتحدث عن غزوة تبوك وما يتعلق بالمنافقين، فقد ميزت هذه الغزوة بين المؤمن الصادق المخلص لولائه وجهاده في سبيل الله، وبين موقف المنافق الذي تشتت ولاؤه وتثاقل عن الجهاد[1].

وإذا أردنا أن نشرك اسمي السورة في بيان نظم السورة وتناسق موضوعاتها وبيان وحدتها الموضوعية نقول إن هذه السورة من اسميها (التوبة وبراءة) تعتني بموضوعين رئيسين؛ البراءة من الشرك والمشركين ومن على شاكلتهم من أهل الكتاب وغيرهم، وموضوع التوبة التي تجلت في رحمة الله على عباده المؤمنين، ومن هنا ارتبط مطلع السورة (براءة) ليدل على موقف عقدي واضح تجاه الشرك وأهله، وما يترتب على هذه البراءة من دعوة للجهاد وتحقيق الولاء لمن يستحقه من المؤمنين، وبتالي تتضح الرؤية للمؤمنين في مسألة الجهاد والولاء، فالتلازم بينهما وثيق، إذ لا يمكن أن تتحقق الغاية من الجهاد دون تصحيح المفاهيم حول الولاء والبراء، لذلك كان الحديث في هذه السورة عن غزوة تبوك، والتي تدلنا على مدى تطبيق المؤمنين للتلازم بين الجهاد والولاء الصحيح؛ ومن جانب آخر فضحت السورة المنافقين حيث الخلل في الولاء الذي أدى إلى التكاسل والتثاقل عن الجهاد، ومن هنا يمكن الجمع بين اسمي التوبة وبراءة، فالسورة دعت المسلمين إلى

---

(1) ينظر: البقاعي، **نظم الدرر**، ج8، ص 350؛ سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج3، ص 558؛ الزحيلي، **المنير**، م5، ص 440.

التبرؤ من الشرك وأهله، فمن أراد التوبة النصوح فعليه أن يتبرأ من المشركين، فإن أصر المنافقون على ما هم عليه من موالاة المشركين كانت البراءة منهم أيضاً، ولا ننسى أيضا أهمية التوبة في السورة حين تداركت فئة من المؤمنين تقاعسوا عن تلبية نداء رسول الله، وندموا على ما كان منهم، فتاب الله عليهم.

المطلب الثاني: التناسق بين الوحدة الموضوعية للسورة، وبين مقاطع السورة:

أولاً: تنظيم العلاقات مع المشركين:

جاء المقطع الأول في الولاء والبراء صريحًا في قوله تعالى: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١﴾، والبراءة: "قطع الموالاة وارتفاع العصمة، وزوال الأمان"[1]؛ والآية وإن كانت في البراءة من عهود المشركين، إلا أنها تتضمن حكمًا نهائيًا بقطع العلاقات مع المشركين، وهذا الانقطاع يشمل التبرؤ من عهودهم، ويشمل قطع علاقات الصداقة والولاء والنصرة معهم[2].

وبعد أن مهدت الآيات إلى البراءة من المشركين، جاءت الآيات لتحث المؤمنين على قتال الفئة المحاربة الباغية، وقد وصفتهم الآيات بصفات قبيحة: تأصل صفة الغدر والخيانة فلا يثبتون على عهد، الاعتداء على المؤمنين وإخراجهم من أرضهم ظلمًا، فكل صفة من الصفات موجبة

---

(1) الجصاص، **أحكام القرآن**، ج3، ص100.

(2) ينظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج3، ص 4؛ الجصاص: أحمد بن علي، **أحكام القرآن**، تحقيق: عبد السلام شاهين، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1994م)، ج3، ص100.

لقطع العلاقة معهم والتعاون والمودة، فكيف إذا اجتمعت في فئة من فئات الكافرين[1]، إلا أن فئة من المسلمين قد تهيبت وترددت في الإقدام على قتالهم وقطع علاقاتهم مع المشركين، وذلك بسبب عاطفة النسب، أو بسبب الخوف والخشية من القتال، والذي يؤدي إلى موالاة المشركين وعدم قطع الصلات والمصالح بينهم[2]؛ فجاء سياق الآيات ليؤكد على مسألتين:

المسألة الأولى: أن الجهاد في سبيل الله لا يكفي وحده لتحقيق الغاية منه؛ وإنما لا بد من تحقق الولاء الصحيح حتى يكون المؤمن مخلصًا لله، ويدلنا على ذلك قوله تعالى: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تُتۡرَكُواْ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَلَمۡ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَلِيجَةٗۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٦﴾ [التوبة]، فالآية تبين أن الغرض من الجهاد يتحقق بتحقق "الانقياد لأمر الله، ولحكمه وتكليفه، ليظهر به بذل النفس والمال في طلب مرضاة الله، فحينئذ يحصل به الانتفاع"[3]، لذلك كان الاختبار والتمحيص من الله لتمييز الصادقين من المنافقين؛ فالمواقف تختلف، فهناك من يجاهد في سبيل الله ويكون مخلصًا لله، واثقًا به، فلا يعتمد على الأعداء

---

(1) ينظر: الطبري، **جامع البيان**، ج14، ص158؛ الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج15، ص535.

(2) ينظر: البقاعي، **نظم الدرر**، ج8، ص 396؛ سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج3، ص623؛ ينظر أيضا: المنار، ج10، 201.

(3) الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج16، ص7. ينظر أيضًا: ابن عادل الحنبلي، **اللباب في علوم الكتاب**، تحقيق: عادل عبد الموجود علي محمد معوض،(بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1998م)، ج10، ص49.

ويتخذهم (وليجة) [1] وموضع قرب؛ وفي المقابل هناك من يجاهد ولكنه منافق، يحرر ولاءه للأعداء، فثقة هذه الفئة بالأعداء وميلهم لهم يجعلهم محط قرب وكشف لأسرار المؤمنين[2].

أما المسألة الثانية التي عرضتها الآيات في قضية الولاء والبراء: أن العقيدة هي الأساس في العلاقات، يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣﴾ [التوبة]، فالآية توجه المؤمنين لتأسيس الرابطة الحقة التي يجب أن يلتزم بها المؤمن في تحديد علاقاته مع الآخرين (رابطة العقيدة)، فإذا انتظمت هذه الرابطة لدى المؤمنين كان الانتماء لله صحيحًا، لذلك جاء النهي عن موالاة الأقارب الكافرين حتى لا يتشتت الانتماء ويتوزع بين حب الله وحب الأهل والأقارب[3]، ويجب أن نفرق بين النهي عن اتخاذ الآباء والإخوان الكافرين أولياء، وبين الأمر بالإحسان إلى الوالدين الكافرين وصحبتهم بالمعروف، فلا تعارض بين الموقفين[4]، فسبب النهي عن موالاتهم هو (الكفر)، وجاء البيان عن حبهم للكفر بلفظ (ٱسۡتَحَبُّواْ): للدلالة على "الحب بشدة وتعصب...؛

---

(1) الوليجة: "كل شيء أدخلته في شيء ليس منه فهو وليجة، والرجل يكون في القوم وليس منهم فهو وليجة فيهم، ومجازه يقول: فلا تتخذوا وليّا ليس من المسلمين دون الله ورسوله". أبو عبيدة: معمر بن المثنى، **مجاز القرآن**، تحقيق: محمد فؤاد سزكين، (القاهرة: مكتبة الخانجي، د.ط، 1381هـ)، ج1، ص254.

(2) ينظر: القشيري: عبد الكريم بن هوزان، **لطائف الإشارات**، تحقيق: إبراهيم البسيوني، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3، د.ت) ج2، ص13؛ الماتريدي، **تأويلات أهل السنة**، ج5، ص313.

(3) ينظر: الزحيلي، **الوسيط**، ج1، ص845.

(4) ينظر: الجصاص، **أحكام القرآن**، ج3، ص113؛ أبو زهرة، **زهرة التفاسير**، ج6، ص3262.

فكانوا مبالغين متعنتين في عداوة المؤمنين، فمن والاهم فقد والى أعداءه الكافرين"[1]، أما فيما يتعلق بالإحسان إلى الأب الكافر وصحبته بالمعروف فليس داخل في حيز النهي[2].

ثم ينتقل السياق إلى مزيد توجيه للمؤمنين بأمور قد تضعف الولاء، وتضعف الهمم في الجهاد، فشرعت الآيات بذكر علاقات ومصالح وشهوات قد تؤثر على قوة الانتماء لله وتشتته، فجاء ذكر هذه الأمور للتأكيد على ضرورة إخلاص الانتماء لله وقطع العلاقات مع المشركين المعادين للإسلام والمسلمين[3]، فقال تعالى: ﴿قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٤﴾ [التوبة]، وبالنظر إلى ما ذكرته الآية من أمور فإنها أمور محببة إلى القلب، ومع ذلك يجب على المؤمن إخلاص ولائه لله وللرسول صلى الله عليه وسلم، فيجعل رضى الله هو الغاية الأسمى له[4].

---

(1) أبو زهرة، **زهرة التفاسير**، ج6، ص3262.

(2) ينظر: الجصاص، **أحكام القرآن**، ج3، ص113؛ زهرة التفاسير، ج6، ص3262.

(3) ينظر: أبو السعود، **إرشاد العقل السليم**، ج4، ص54؛ المراغي، **تفسير المراغي**، ج10، ص38. ينظر أيضًا: الآلوسي، **روح المعاني**، ج5، ص264.

(4) ينظر: أبو السعود، **إرشاد العقل السليم**، ج4، 54؛ رشيد رضا، **المنار**، ج10، ص202؛ القاسمي، **محاسن التأويل**، ج5، ص366.

ثانيًا: تنظيم العلاقات مع أهل الكتاب:

"بعد أن ذكر الله حكم المشركين في إظهار البراءة عن عهدهم...، ذكر بعده حكم أهل الكتاب، وهو أن يقاتَلوا إلى أن يعطوا الجزية..." [1]، والعلة في البراءة منهم راجعة إلى جمع أهل الكتاب بين الكفر وبين عدوانهم على الإسلام والمسلمين، فقد مثلت الآية حال أهل الكتاب بأنهم: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [التوبة]، فهذه الآية تنبيه للمؤمنين من كيد أهل الكتاب الذين يريدون أن يطفئوا هذا النور بشتى السبل؛ من صد للناس عن الدخول في الإسلام وإثارة الشبهات والفتن بين المؤمنين، واجتماعهم مع الكافرين على هدف واحد وهو النيل من الإسلام والمسلمين، لذلك كثرت المعاهدات والتحالفات بين اليهود ومن والاهم[2]، وفي سياق الحديث عن وجوب قتال أهل الكتاب؛ يأتي الحديث عن غزوة تبوك وما تناولته الآيات من فضح المنافقين، وهذا ما سأبينه في المقطع التالي.

ثالثًا: غزوة تبوك وأعذار المنافقين:

جاء هذا المقطع للحديث عن غزوة تبوك[3] وبيان أعذار المنافقين وموقفهم من الجهاد، وذلك بعد أن بينت السورة أن الجهاد موضع اختبار وتمحيص، وهذا ما حدث مع المنافقين.

---

(1) الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج16، ص23.

(2) ينظر: ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، ج10، ص171، 172.

(3) كانت غزوة تبوك في السنة التاسعة للهجرة، "وذلك في زمان من عسرة الناس، وشدة من الحر، وجدب من البلاد: وحين طابت الثمار...". ابن هشام، **سيرة ابن هاشم**، ج2، ص516.

إن الحديث عما يتعلق بغزوة تبوك وأعذار المنافقين هو في جانبين: الأول: موقفهم من غزوة تبوك، والثاني: طبيعة المنافقين والولاء فيما بينهم.

ففي بيان موقف المنافقين، جاء الحديث عن المنافقين المتثاقلين عن الجهاد في سبيل الله، وهذا التثاقل راجع إلى ضعف الإيمان والتردد[1]، وتقديم شهوات الدنيا على الجهاد، كما بينه سياق الآيات: ﴿لَوۡ كَانَ عَرَضٗا قَرِيبٗا وَسَفَرٗا قَاصِدٗا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلشُّقَّةُۚ...﴾ [التوبة:42]،﴿ إِنَّمَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱرۡتَابَتۡ قُلُوبُهُمۡ فَهُمۡ فِي رَيۡبِهِمۡ يَتَرَدَّدُونَ﴾ [التوبة:45]، فالآيات تشرح كذب المنافقين في رغبتهم بالخروج مع رسول الله، إلا أن الآيات فضحت موقفهم، فتعلق المنافقين بشهوات الدنيا وتحصيل الغنائم واستغلال الموقف بما يتناسب مع مصالحهم دليل ضعف انتمائهم لله، وإيثار شهوات الدنيا على الجهاد في سبيل الله[2]، وفي المقابل بينت الآيات موقف المؤمنين الصادقين الثابتين على الجهاد رغم الظروف والمشقة والعقبات: ﴿لَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ﴾،[التوبة: 44]، فعدم استئذان المؤمنين من السفر الطويل دليل على تحقيق الإيمان الصحيح الخالص من الشوائب، وهو الباعث على طاعة الله ورسوله والجهاد بالأموال والأنفس[3].

ولم يكتف سياق الآيات بوصف المخلفين من المنافقين، إنما وصفتهم الآيات بوصف يدل على فرحهم بالتخلف وعدم طاعة الله ورسوله، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿فَرِحَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ بِمَقۡعَدِهِمۡ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ

---

(1) ينظر: الطبري، **جامع البيان**، ج14، ص275؛ القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج2، ص417.

(2) ينظر: النيسابوري، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، ج3، ص480، البقاعي، **نظم الدرر**، ج8، ص480.

(3) ينظر: الآلوسي، **روح المعاني**، ج5، ص302.

قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّٗاۚ لَّوۡ كَانُواْ يَفۡقَهُونَ﴾ [التوبة: 81]. أما ما يتعلق بطبيعة الولاء بين المنافقين، فأذكره في سياق المقارنة بين المؤمنين والمنافقين على النحو الآتي:

رابعًا: المقارنة بين ولاء المؤمنين وولاء المنافقين:

قارنت سورة التوبة بين المؤمنين والمنافقين في قضية الولاء والبراء، فقال تعالى في سياق الحديث عن المنافقين: ﴿ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖۘ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمُنكَرِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَقۡبِضُونَ أَيۡدِيَهُمۡۚ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [التوبة: 67]، وقال تعالى في سياق الحديث عن المؤمنين: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ [التوبة: 71].

جاءت الآية المتحدثة عن المنافقين بوصف عام لطبيعة الولاء بينهم وذلك أنهم: ﴿بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾، وقد آثر التعبير القرآني استعمال هذا الوصف للدلالة على أن المنافقين لا تجمعهم عقيدة كما هو حال الكافرين المجتمعين على عقيدة فاسدة، إنما تجمعهم طبيعة متأصلة فيهم من نفاق وشك، وتذبذب بين الإيمان والكفر والخيانة، ولا شك أن اجتماع مثل تلك الصفات فيهم كان له بالغ الأثر في علاقاتهم مع الآخرين، لاسيما إخوانهم من أهل الكتاب، وهذا ما أكد عليه قوله تعالى في سورة النساء: ﴿مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لا إِلَى هَؤُلاءِ وَلا إِلَى هَؤُلاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلا﴾ [النساء:143]، وما أكدت عليه سورة الحشر، حيث بيان طبيعة الولاء بينهم وبين اليهود الذي اعتراه الضعف والخيانة[1]:﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ

(1) سيتم بيان لطبيعة الولاء بين المنافقين واليهود في الفصل الثالث في المبحث الثاني، ص94، 95.

الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ [الحشر:11] [1].

ثم بينت الآيات وصفًا عامًا للمنافقين يوجب البراءة منهم ومن أفعالهم القبيحة، وذلك أنهم: ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [التوبة:67]، بالإضافة إلى ما بينه سياق الآيات من سوء صفاتهم التي توجب البراءة منهم وعدم اتخاذهم أولياء وبطانة؛ ومن ذلك موقفهم السلبي في الجيش المسلم، ونشر الفساد والفتنة مما يؤدي إلى الاختلاف في الرأي والانهزام والانكسار.

بينما جاء في وصف الولاء بين المؤمنين بأنهم: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۘ﴾ [التوبة:71]، وذلك في مقابلة الحديث عن المنافقين، وذلك حتى يميز الله المؤمنين بالأوصاف والأفعال التي تدل على ولائهم لله ولرسوله وللمؤمنين، فقال تعالى في وصفهم: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۘ﴾، فهم مجتمعون على عقيدة واحدة، ومشتركون في صفات حسنة من محبة ونصرة وموالاة وأخوة في الله[2].

---

(1) ينظر: ابن جماعة: محمد بن إبراهيم، **كشف المعاني في المتشابه من المثاني**، تحقيق: عبد الجواد خلف، (المنصورة: دار الوفاء، ط1، 1990م)، ص199؛ ينظر: فضل عباس، "**المفردات القرآنية**، ص114.

(2) ينظر: الشوكاني: محمد بن علي، **فتح القدير**، (المملكة العربية السعودية: وزارة الشؤون الإسلامية، د.ط، 2010م)، ج2، ص379؛ ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج10، ص262؛ السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ص343.

ثم بينت الآية وصفًا عامًا للمؤمنين يدل على كمال ولائهم لبعضهم البعض، والسعي لإصلاح مواطن الخلل في المجتمع، فالمؤمن يسعى لنشر الفضيلة في المجتمع وتطهيره من الآفات، وهذا الإصلاح المجتمعي أساسه صلاح النفس واستقامتها على طاعة الله والرسول، وقيامها بالطاعات على أكمل وجه: ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾[1]، وذكر هذه الصفات دليل على صحة إيمانهم ورسوخهم فيه، ثم عقبت الآيات بالجزاء المتناسب معهم...، وناسب مجيء الفاصلة:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[التوبة:71]، "للإشارة إلى أن المؤمنين لا يزالون منصورين على كل مفسدة ما داموا على هذه الخِلال، فهو القادر على نصر من يوالي حزبه"[2].

وبعد أن بينت الآيات وصف المنافقين بالصفات السيئة الموجبة لمقاطعتهم والبراءة منهم، وأتبع ذلك ذكر صفات المؤمنين الحميدة التي توجب الموالاة بين المؤمنين، عاد السياق للحديث عن الكافرين والمنافقين[3] فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْۚ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦۚ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْۖ وَإِن يَتَوَلَّوْاْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِۚ وَمَا لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴿٧٤﴾﴾ [التوبة]، فالآيات تأمر رسول الله والمؤمنين بجهاد الكفار والمنافقين والغلظة عليهم، فالمؤمن المحقق لكمال المحبة لله يجب أن يكون عزيزًا على الكافرين، ثم دعت الآيات المنافقين للتوبة النصوح من سوء أعمالهم،

---

(1) ينظر: البقاعي، **نظم الدرر**، ج8، ص544.

(2) البقاعي، **نظم الدرر**، ج8، ص545.

(3) الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج16، ص103؛ البقاعي، **نظم الدرر**، ج8، ص546، 547.

فإن تولوا عن التوبة وأصروا على النفاق، فلهم العذاب الشديد في الدنيا والآخرة ﴿ وَمَا لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ﴾[1].

خامسًا: الأسوة حسنة في الولاء والبراء:

جاء الحديث عن الأسوة الحسنة في قوله تعالى:﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ١١٣ وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ ١١٤ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ١١٥ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ١١٦﴾ [التوبة]، وذلك بعد أن عرضت السورة ما يتعلق بالبراءة من المشركين، وبيان أن أسس العلاقة يجب أن تكون مبنية على الإيمان، ثم ختمت السورة بذكر نموذجين يدلان على الولاء الصحيح، وفي ذلك زيادة تأكيد ومبالغة في البراءة من المشركين وقطع كل الصلات بهم[2]، فالنموذج الأول: ما كان من نهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين من استغفار للمشركين في كل الأحوال، ويشمل ذلك النهي عن الاستغفار لأولي القربى إن كانوا مشركين.

---

(1) ينظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج4، ص183، ابن رجب الحنبلي: زين الدين عبد الرحمن الحنبلي، **روائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي**، (المملكة العربية السعودية: دار العاصمة، ط1، 2001م)، ج1، ص435.

(2) ينظر: أبو حيان الأندلسي، **البحر المحيط**، ج5، ص513.

أما النموذج الثاني: ما كان من حديث عن نبي الله إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ﴾ [التوبة: 114]، والآية تدل على أن حكم البراءة من المشركين ليس حكماً مختصًا بدين محمد عليه السلام، بل هو مشروع في دين إبراهيم عليه السلام، وفي ذلك مبالغة وتأكيد على وجوب البراءة من المشركين، فكان موقف إبراهيم من أبيه أنه تبرأ منه ولم يستغفر له عندما استحب الكفر على الإيمان[1]، ثم عقبت الآيات ببيان توحيد الله سبحانه وتعالى الذي بيده ملك السموات والأرض، المدبر لأمر الكون، الذي يتولى أمور عباده بنصرهم وتأييدهم، فلا يتوهم المؤمنون النصر من غير الله[2]: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ﴾ [التوبة:116]، ومجيء صفتي (الولي) (النصير) في ختام السورة، مناسب لموضوع سورة التوبة التي جمعت بين البراءة من المشركين والدعوة إلى الجهاد في سبيله ، ويمكن أن ألخص ذلك بالقول: إن ولاية الله سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين وتأييدهم بالنصر والتمكين لها مستلزمات كما بينتها السورة: تحقيق مستلزمات الولاء الخالص لله ورسوله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين، والبراءة من المشركين، فمن حقق ذلك وكان جهاده خالصا لوجه الله، فكان الله وليه وناصره، فثقوا بنصر الله وكونوا من حزب الله[3].

---

(1) ينظر: القنوجي: محمد صديق خان، **فتح البيان في مقاصد القرآن**، تدقيق: عبد الله إبراهيم الأنصاري، (بيروت: المكتبة العصرية، د.ط، 1992م)، ج5، ص411.

(2) ينظر: المراغي، **تفسير المراغي**، ج11، 38.

(3) ينظر: الطبري، **جامع البيان**، ج14، 538؛ ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج11، ص48.

الفصل الرابع: التناسق الموضوعي لآيات الولاء والبراء في سور المجادلة والحشر والممتحنة

المبحث الأول: التناسق الموضوعي لآيات الولاء والبراء في سورة المجادلة.

المبحث الثاني: التناسق الموضوعي لآيات الولاء والبراء في سورة الحشر.

المبحث الثالث: التناسق الموضوعي لآيات الولاء والبراء في سورة الممتحنة.

المبحث الأول: التناسق الموضوعي لآيات الولاء والبراء في سورة المجادلة

المطلب الأول: مدخل إلى سورة المجادلة:

أولاً: نبذة عن السورة، وآيات الولاء والبراء فيها:

سورة المجادلة سورة مدنية، وقد تناولت مسائل تنظم العلاقات في المجتمع، فكان الحديث عن الظهار والجدال، وفي ذلك حفاظ على كيان الأسرة، ثم الحديث عن النجوى والتي تنظم بعض العلاقات بين أفراد المجتمع، وتطرقت السورة إلى المقارنة بين المؤمنين والمنافقين في قضية الولاء، فذكرت صفات حزب الشيطان، ومن أهم صفاتهم موالاة اليهود: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم...﴾ [المجادلة: 14]، وذكرت صفات المؤمنين المخلصين المنتظمين في حزب الله، وذلك في ختام السورة: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ...﴾ [المجادلة: 22][1].

وسميت السورة بالمجادلة حيث سبب نزولها المباشر في مجادلة خولة بنت ثعلبة للرسول صلى الله عليه وسلم[2] ولكن الدلالة واضحة على ضرر الجدال، وأنه من الأسباب المزعزعة لبنيان المجتمع، ابتداء بالزوجين، مروراً بالعلاقات بين أفراد المجتمع، لذلك جاءت السورة لتقوي العلاقات

---

(1) ينظر: الطنطاوي، **الوسيط**، ج14، ص242؛ الزحيلي، **المنير**، م14، ص377، 378.

(2) الرواية أخرجها البخاري في **صحيحة**، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: 134]، ج9، ص117؛ ينظر أيضًا: الواحدي، **أسباب النزول**، ص408.

بين أفراد المجتمع بما تضمنته من قضايا مجتمعية، ومنها ما يتعلق بالولاء الصحيح المبني على العقيدة، فإن ذلك من أسباب الحفاظ على مجتمع قوي متماسك.

ثانيًا: التناسق بين الوحدة الموضوعية للسورة واسمها:

تدور سورة المجادلة حول بيان "تمام علم الله اللازم عن تمام القدرة، اللازم عنه الإحاطة بجميع صفات الكمال"[1]، فاستشعار المؤمن لكمال علم الله يؤدي إلى تعميق قضية الإيمان في القلب. وحتى أثبت التناسق بين الوحدة الموضوعية للسورة واسمها، أقول إن السورة اهتمت بمقومات القوة في المجتمع وذلك من خلال جانبين؛ الجانب الأول: تقوية الإيمان في قلب المؤمن واستشعاره لعلم الله بالظواهر والبواطن، فإن تحقق الإيمان القوي انعكس ذلك على سلوك المؤمن وأفعاله فيحقق الولاء الخالص لله، أما الجانب الثاني: تقوية العلاقات بين المؤمنين؛ النجوى بالخير، التأدب بآداب المجالس، تحقيق الولاء الصحيح المبني على أساس الحب والبغض في الله، لذلك ناسب أن تتحدث السورة عن الجانب الآخر في المجتمع: (أسباب الضعف)، فكان الحديث عن المنافقين الذين يمثلون بؤرة الفساد في المجتمع، بالإضافة إلى اهتمام السورة بأفعال تؤدي إلى ضعف المجتمع: مثل النجوى بالإثم والعدوان، وولاء المنافقين لليهود والتعاون معهم ضد المؤمنين، الألفاظ التي لا تحسَب مآلاتها، مثل الظهار والجدال... وبعد أن بينت التناسق بين الوحدة الموضوعية للسورة واسمها، أذكر في المطلب الثاني علاقة هذا التناسق بآيات الولاء والبراء في السورة.

---

(1) البقاعي، **نظم الدرر**، ج19، ص331.

المطلب الثاني: التناسق بين آيات الولاء والبراء في سورة المجادلة، وبين الوحدة الموضوعية للسورة واسمها:

إذا أردنا أن نبين التناسق بين آيات الولاء والبراء في السورة وبين الوحدة الموضوعية للسورة واسمها استنادا لما ذكرته في المطلب السابق، فيمكننا أن نقول إن سورة المجادلة قارنت بين موقف المنافقين والمؤمنين في قضية الولاء، لأهمية الولاء في حفظ كيان المجتمع، فالمنافقون –كما بين سياق الآيات– أفسدوا بواطنهم، فانعكس ذلك على أفعالهم وأقوالهم، فكانت النتيجة تشتت الولاء كما سيبين سياق الآيات، وفي نفس السياق تحدثت السورة عن المؤمنين الذين يخلصون إيمانهم، فبواطنهم وظواهرهم سواء، فكانت النتيجة المترتبة على صدق إيمانهم إخلاصهم في الولاء.

المطلب الثالث: التناسق بين آيات الولاء والبراء في سورة المجادلة، وبين السياق الذي جاءت فيه:

التناسق بين قوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ...٢٢﴾، وبين السياق الذي جاءت فيه الآية:

جاءت آيات الولاء والبراء في سورة المجادلة في سياق الحديث عن مواقف المنافقين المخزية وسوء أفعالهم، فبدأت الآيات ببيان فئة تحادّ الله ورسوله، ومن مظاهر ذلك ما كان من

نجوى فاسدة بين المنافقين واليهود[1]، وهذا الموقف المخزي من المنافقين ليس بغريب إذ إن من صفاتهم تحرير ولائهم للأعداء، والسعي لإضعاف شوكة المؤمنين وبث الفتن والدسائس في المجتمع المسلم[2].

وبعد الحديث عن النجوى الفاسدة التي كانت بين المنافقين واليهود، جاءت الآيات لتربي النفوس المؤمنة، فكان الأمر للمؤمنين بالتناجي بالبر والتقوى، والتأدب بأدب المجالس، فهذه الأفعال وغيرها تقلل من الشحناء والكره بين المؤمنين، وتدعو إلى التمسك بكل ما قد يقوي الصلات بين المؤمنين[3]، فكأن الآيات تدعو المؤمنين إلى ضرورة بناء العلاقات بين أفراد المجتمع المسلم على أساس المحبة والألفة والمودة، ولم تغفل السورة جانب تقوية علاقة المؤمن بربه، فحثت الآيات المؤمنين على الاهتمام بالصلاة وإقامتها على أحسن وجهة، وإيتاء الزكاة[4].

من هنا، ناسب أن تبين السورة الجانب الآخر في المجتمع (أسباب الضعف)، سواء كان هذا الضعف في الإيمان، أم في الأفعال والمواقف التي تؤدي إلى تشتت المجتمع، فكان الحديث عن بؤرة الفساد والضعف في المجتمع (المنافقون)، قال تعالى في سياق ذم فعل المنافقين: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مَّا هُم مِّنكُمۡ وَلَا مِنۡهُمۡ وَيَحۡلِفُونَ عَلَى ٱلۡكَذِبِ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾

---

(1) ينظر: السمرقندي، **بحر العلوم**، ج3، ص316؛ الثعلبي: أحمد بن محمد إبراهيم **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، تحقيق: محمد بن عاشور، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 2002م)، ج9، ص 527؛ ينظر أيضًا: البغوي، **معالم التنزيل**، ج8، ص55.

(2) ينظر: الجزائري، **أيسر التفاسير**، ج 5، ص291.

(3) ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج29، ص؛ ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج8، ص 45.

(4) ينظر: سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج6، ص 374.

[المجادلة:14]، فالآية تؤكد على تحقق صفة الولاء بين المنافقين واليهود، وذلك بعد أن بين السياق التعاون الذي كان بين الطرفين، وهذا الفعل من المنافقين يدل على غاية القبح؛ حيث التذبذب بين أهل الإيمان وأهل الكفر، كما وصفهم الله في سورة النساء[1]: ﴿مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ﴾ [النِّسَاءِ: 143]، وآية المجادلة تأكيد على تأصل هذه الصفة في المنافقين: ﴿مَّا هُم مِّنكُمۡ وَلَا مِنۡهُمۡ﴾ [المجادلة:14].

ولا شك أن تبدل مواقف المنافقين وعدم ثباتهم يؤدي إلى الضعف والتشتت في المجتمع، وقد ذكرت سورة المجادلة جزءاً من هذا الضعف، فالمنافقون يوالون المؤمنين في الظاهر، إلا أن قلوبهم مشربة بحب الأعداء والركون إليهم، والدليل على ذلك حلفهم للأيمان الكاذبة في الدنيا على أنهم في صف المؤمنين ومجتمعين معهم على نفس الغاية والهدف، بل ربما يوهمون المؤمنين بشدة حرصهم على مصالحهم وغير ذلك من الوعود الكاذبة، إلا أن الله فضحهم وبين كذبهم، فموقفهم ذلك لا يغني عنهم شيئا يوم القيامة[2]، ولم يكتف المنافقون بحلف الأيمان الكاذبة لخداع المؤمنين وإيهامهم بصلاح موقفهم، إنما تعدى ذلك إلى الصد عن سبيل الله وتثبيط المؤمنين، لذلك استحقوا الخسران والذل بسب سوء أعمالهم، وانضمامهم إلى حزب الشيطان الذين يحادون الله ورسوله[3]، وفي نفس السياق أكدت السورة على استحقاق حزب الله للنصر والتأييد، في مقابل ذل المنافقين وخزيهم وخسرانهم، هم ومن على شاكلتهم.

---

(1) ينظر: أبو حيان، **البحر المحيط**، ينظر أيضاً السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، ص847.

(2) ينظر: الطبري، **جامع البيان**، ج23، ص255؛ الزمخشري، **الكشاف**، ج4، ص373.

(3) ينظر: أبو السعود، **إرشاد العقل السليم**، ج8، ص223.

ثم ينتقل سياق الآيات لبيان صفات حزب الله، وذلك بعد أن ذكرت الآيات صفات حزب الشيطان، ففي ذكر صفات الحزبين في السياق نفسه تنبيه للمؤمن على المفارقة بين الحزبين في الصفات والجزاء المترتب، فيتطلع المؤمن إلى الاتصاف بالصفات الحميدة، وعلى أساس هذه الصفات يزن أفعاله ويقومها حتى تستقيم بما يرضي الله[1]، فقال تعالى واصفاً للمؤمنين: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: 22]، وجاءت الآية في "سياق النفي لتفيد المبالغة في النهي والزجر عن موالاة الأعداء"[2]، فالمؤمن ينتهي عن مثل هذا الفعل، وذلك لأن الإيمان الصحيح يمنع صاحبه من الانخراط في موالاة الأعداء، ولو كانوا أولي قربى أو رحم، وفي ذكر وشائج القربى دليل على شدة النهي عن موالاتهم، فعلى الرغم من الميل العظيم للأب والأخ والابن والعشيرة، إلا أنه ينبغي على المؤمن أن يقدم محبة الله ورسوله على حب الأهل والعشيرة[3].

---

(1) ينظر: ابن المبرد: يوسف بن حسن، **صب الخمول على من وصل أذاه إلى الصالحين**، تحقيق: نور الدين طالب، (سوريا: دار النوادر، ط1، 2011م)، ص23؛ ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج28، ص61.

(2) البقاعي، **نظم الدرر**، ج19، ص396.

(3) ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج29، ص 277؛ ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج5، ص 282.

المبحث الثاني: التناسق الموضوعي لآيات الولاء والبراء في سورة الحشر

المطلب الأول: مدخل إلى سورة الحشر

أولاً: نبذة عن السورة، وآيات الولاء والبراء فيها:

سورة الحشر سورة مدنية، وجُل موضوعها عرض ما حدث ليهود بني النضير، وقد جاءت بعد سورة المجادلة وذلك حسب ترتيب المصحف، والتناسق والتناسب بين السورتين في موضوع الولاء والبراء من عدة جوانب؛ فسورة المجادلة بينت ما كان من تعاون وولاء بين المنافقين واليهود سواء كان ظاهراً أم خفياً، ثم جاءت سورة الحشر لتبين هشاشة هذا الولاء وعدم نفعه لكلا الطرفين[1]، ومن جانب آخر فإن سورة المجادلة بينت أن النصر لحزب الله، والذلة والخزي لحزب الشيطان، فجاءت سورة الحشر لتبين تحقق هذه السنة في النصر[2] وذلك من خلال حديثها عن المهاجرين والأنصار الذين مثلوا الولاء الصحيح، وحديثها عن المنافقين ويهود بني النضير والذين مثلوا الولاء الفاسد، فدلت السورتان أن من لوازم النصر تحقيق الولاء الصحيح لله وللرسول صلى الله عليه وسلم.

جاءت آيات الولاء والبراء في قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ

---

(1) ينظر: حوى، **الأساس في التفسير**، ج10، ص5811.

(2) ينظر: البقاعي، **نظم الدرر**، ج19، ص406.

عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٩﴾ [الحشر]، وهي تمثل الولاء الصالح.

ثم عقبت الآيات بذكر نموذج فاسد في الولاء: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخۡوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَئِنۡ أُخۡرِجۡتُمۡ لَنَخۡرُجَنَّ مَعَكُمۡ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمۡ أَحَدًا أَبَدٗا وَإِن قُوتِلۡتُمۡ لَنَنصُرَنَّكُمۡ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١١ لَئِنۡ أُخۡرِجُواْ لَا يَخۡرُجُونَ مَعَهُمۡ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمۡ وَلَئِن نَّصَرُوهُمۡ لَيُوَلُّنَّ ٱلۡأَدۡبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ١٢ ﴾[الحشر].

ثانيًا: التناسق بين الوحدة الموضوعية للسورة واسمها:

التناسب والتناسق بين الوحدة الموضوعية واسم السورة بيّن وواضح، "فمقصد السورة تنزيه الله من الشوائب والنقص، بإثبات القدرة الشاملة، لأنه سبحانه قوي عزيز، المستلزمة للعلم التام، المستلزم للحكمة البالغة....، وأدل ما فيها حشر يهود بني النضير"[1]، فتمام علمه بما كان من ولاء خفي بين اليهود والمنافقين، ثم تمام حكمة الله تعالى في تحقيق النصر للمؤمنين، والذل والهزيمة، لليهود وأوليائهم. وبعد أن بينت التناسق بين الوحدة الموضوعية للسورة واسمها، أذكر في المطلب الثاني علاقة هذا التناسق بآيات الولاء والبراء في السورة.

---

(1) البقاعي، **مصاعد النظر**، ج3، ص72.

المطلب الثاني: التناسق بين آيات الولاء والبراء في سورة الحشر، وبين الوحدة الموضوعية للسورة واسمها:

من خلال ما سبق في بيان التناسق بين الوحدة الموضوعية واسم السورة، ومن خلال ربط ذلك بآيات الولاء والبراء في السورة، أقول الآتي:

ذكرت السورة نموذجين متباين في الولاء، النموذج الأول في الولاء الصادق القوي، وهو الذي جمع بين الرسوخ في الإيمان، وبين الحب في الله (الأخوة الإيمانية)، والنموذج الثاني في الولاء الزائف، وهو الذي جمع بين الكفر والأخوة الفاسدة.

وذكر النموذجين في السورة متناسق مع وحدتها الموضوعية واسمها، إذ أنهما في سياق الحديث عن حشر بني النضير، وتمكين المؤمنين من اليهود وإخوانهم المنافقين، فمن أراد النصر والتمكين وجب عليه أن يحقق الولاء الصحيح، ويطلب العزة من الله، ومن أراد الذل والهوان فليغتر بالأعداء ويواليهم[1].

المطلب الثالث: التناسق بين آيات الولاء والبراء في سورة الحشر، والسياق الذي جاءت فيه:

جاءت آيات الولاء والبراء في سياق الحديث عن يهود بني النضير الذين نقضوا العهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان ذلك سبباً في إخراجهم من ديارهم وأموالهم لأنهم شاقوا الله ورسوله، ثم ينتقل السياق ليتحدث عن المهاجرين والأنصار رضوان الله عليهم، الذين منّ الله عليهم بالنصر والتمكين، فوصفت الآيات الصحابة رضوان الله عليهم بصفات هي مجمع تحقيق النصر

---

(1) ينظر: البقاعي، **نظم الدرر**، ج19، ص406؛ عرفات، **دلالة أسماء السور القرآنية**، ص539.

والتمكين، فقال سبحانه وتعالى في وصفهم: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾[الحشر]، ومن خلال التأمل في الآيات المادحة للمهاجرين والأنصار رضوان الله عليهم، والتأمل في الصفات التي ذكرتها الآيات نجد أنهم رضوان الله عليهم جمعوا بين أمرين؛ الأمر الأول: الرسوخ في الإيمان وإخلاص الولاء لله وللرسول؛ فهجرة المؤمن بقلبه إلى الله والرسول ابتغاء رضوان الله ونصرة دينه دليل على إخلاص الولاء، والأمر الثاني: قوة العلاقات بين المؤمنين وبناؤها على أساس الإيمان والأخوة في الدين، فمع اختلاف مواطنهم، إلا أن الوحدة الدينية هي التي جمعتهم ووحدت صفهم، فلا اعتبار لأي رابطة أخرى[1]، وقد ذكرت الآيات عددًا من مظاهر الولاء بين المهاجرين والأنصار: المودة والحب والإيثار والنصرة، وانتفاء الحسد والبغض والحقد.

وبعد أن مدحت الآيات المهاجرين والأنصار الصادقين في الإيمان، الذين حققوا أسمى معاني الولاء والهجرة والمحبة والإيثار، جاءت الآيات مباشرة لتبين حال أهل الضلال والمنافقين، وفي ذكر حال المنافقين بعد بيان حال المؤمنين دليل على عدم رسوخ المنافقين في الإيمان[2]، ويدل على ذلك ما كان من ولاء في السر بين المنافقين ويهود بني النضير: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا

---

(1) ينظر: ابن عثيمين: محمد بن صالح، **شرح رياض الصالحين**، (الرياض: دار الوطن للنشر، د.ط، 1426هـ)، ج3، ص258.

(2) ينظر: البقاعي، **نظم الدرر**، ج19، ص455.

أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُواْ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الحشر].

لقد صورت الآيات الكريمة طبيعة العلاقة التي كانت بين المنافقين وإخوانهم اليهود، حيث الأخوة الفاسدة الهشة؛ وهذه الأخوة قد تكون "بجامع الكفر، وقد تكون بجامع الصداقة والموالاة التي كانت بين الطرفين، وقد تكون بجامع مشترك بين الطرفين: الكيد والعداء للإسلام"[1]، وكل هذه الجوامع أمور فاسدة وهشة تنهار بسرعة، كما بينته الآيات من حال هذه الأخوة بين المنافقين واليهود، حيث الأقوال الكاذبة والوعود الزائفة التي وعد بها المنافقون إخوانَهم اليهود: الوعد بالنصرة والخروج للقتال معهم، إلا أن المنافقين خذلوا اليهود شر خذلان[2]، "فأذل الله اليهود...، وأخزى المنافقين؛ لأنهم جعلوا اليهود محط اعتمادهم وموضع ولايتهم"[3]، وهذا الموقف من المنافقين يدل على أن تشتت الولاء صفة متمكنة فيهم، حتى مع إخوانهم الكافرين[4]، وإذا كان هذا هو حال المنافقين في التخاذل عن نصرة أوليائهم في أصعب الظروف فإن ذلك يدعو المؤمنين إلى النظر في طبيعة ولاءاتهم فلا يوالوا المنافقين واليهود.

ومن جانب آخر، فإن الآيات تعكس مدى التشتت والفرقة الموجودة بين المنافقين واليهود، فقال تعالى مقرراً لهذه الحقيقة: ﴿...بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ

---

(1) الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج28، ص98.

(2) ينظر: أبو السعود، **إرشاد العقل السليم**، ج8، ص230؛ سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج6، ص396.

(3) البقاعي، **نظم الدرر**، ج19، ص406.

(4) ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج28، ص98.

لَّا يَعْقِلُونَ﴾[الحشر: 14]، فالآية تقرر أن الفرقة والتشتت واقع في صفوف الأعداء وإن كان ظاهر أمرهم يدل على اجتماعهم وتوحد كلمتهم، إلا أن قلوبهم مشتتة ومتفرقة بحكم الأهواء والمصالح، والعداوات الموجودة بينهم[1] وكل ذلك من مسببات الاختلاف والتفرق والضعف، وحتى يضمن المؤمن النصر والتمكين على هذه الفئة الضعيفة ينبغي عليه الالتزام بصفات المؤمنين الصادقين التي عرضتها الآيات، فذكر نموذج الصحابة رضوان الله عليهم للتأسي بهم، وللسعي للوصول إلى حقيقة الإيمان والإخلاص وصدق الانتماء إلى العقيدة، وبذلك يتحقق قوله تعالى: ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر:14]، فالأعداء أضعف وأعجز من أن يواجهوا قلوبا مجتمعة ومشربة بحب الله ونصرة الإسلام والمسلمين[2].

---

(1) ينظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج4، ص381؛ سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج6، ص 397.

(2) ينظر: سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج6، ص397.

المبحث الثالث: التناسق الموضوعي لآيات الولاء والبراء في سورة الممتحنة

المطلب الأول: مدخل إلى سورة الممتحنة:

أولاً: نبذة عن السورة، وآيات الولاء والبراء فيها:

تناولت سورة الممتحنة موضوع الولاء والبراء بشيء من التفصيل، إذ إن السورة بأكملها تناقش هذا الموضوع، لذلك سيختلف تقسيم المطالب في هذا المبحث لما اقتضته طبيعة السورة.

وقبل أن أبدأ في بيان النبذة عن السورة، سأذكر التناسب والتناسق بين سورة الحشر وسورة الممتحنة في تناول موضوع الولاء والبراء فهو واضح وبين، إذ إن سورة الحشر بينت نموذجين في الولاء؛ الولاء الذي كان بين المؤمنين، والنموذج الثاني الولاء الذي كان بين المنافقين وأهل الكتاب الذي انتهى بالخيانة والبلاء على كلا الطرفين، ثم افتتحت سورة الممتحنة بالنهي عن اتخاذ المشركين أولياء حتى لا يتشبه المؤمن بالمنافقين في ولائهم الفاسد، بل يخلصوا ولاءهم لله وللرسول، فذكرت سورة الممتحنة نموذجاً آخر في الولاء الصحيح: (الأسوة الحسنة في إبراهيم عليه السلام)، ثم تحدثت عن المؤمنات المهاجرات اللاتي امتُحنّ في إيمانهن، ثم ختمت السورة بالنهي عن اتخاذ الكافرين الذين غضب الله عليهم أولياء[1]، "وذلك للتأكيد على ترك موالاتهم وتنفير المسلمين عن توليهم وإلقاء المودة إليهم"[2]، فالسورة بأكملها تتحدث عن الولاء والبراء، وكأن السورة جاءت لتؤدب المؤمنين وتوجههم في قضية الولاء، بعد أن بينت سورة الحشر نعمة الله عليهم بالنصر.

---

(1) ينظر: الزحيلي، **المنير**، م14، ص490، 491.

(2) أبو حيان، **البحر المحيط**، ج10، ص161.

وسميت السورة بالممتحنة للدلالة على امتحان النساء المهاجرات، ولعل امتحان المؤمنات المهاجرات في إيمانهن في ظل الظروف الصعبة للدلالة على أهمية الثبات على العقيدة وتنقيتها من شوائب النفاق، وتنقية القلب من حب الدنيا وملذاتها[1]، فإن استقامت العقيدة انعكست على الأفعال لتكون خالصة لله.

ثانيًا: التناسق بين الوحدة الموضوعية للسورة واسمها:

تدور سورة الممتحنة "حول فكرة الحب والبغض في الله[2]"، وبيان أثر العقيدة في تحقيق الولاء الصحيح، فالعقيدة هي التي تحدد المفهوم الصحيح للعلاقات في المجتمع، فيكون الولاء لأهل الإيمان، والبراء من الأعداء المحاربين، وما يلزم ذلك من الانقطاع عن المصالح والأهل في سبيل إخلاص الولاء[3]. فالامتحان شيء طبيعي لوضع المؤمنين على المحك، ليتبين المؤمن الصادق من غيره، وليتبين الصادق في ولائه من غيره، فاسم (الممتحنة) دال على اختبار هؤلاء النسوة المهاجرات، هل كانت هجرتهن بدافع الإيمان والولاء الخالص لله تعالى ورسوله والمؤمنين أم لا، حينها يكنّ في صف المؤمنين.

---

(1) ينظر: الخطيب، **التفسير القرآني للقرآن**، ج14، ص892.

(2) الصابوني: محمد علي، **صفوة التفاسير**، (قطر: دار إحياء التراث الإسلامي، ط2، 1981م)، ج3، ص359.

(3) ينظر: البقاعي، **مصاعد النظر**، ج3، ص75؛ مصطفى مسلم وآخرون، **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**، ج8، ص90.

المطلب الثاني: التناسق بين الوحدة الموضوعية للسورة، وبين آيات الولاء والبراء فيها

من خلال النظر في موضوعات السورة فإنها تدور حول تأصيل الحب في الله والبغض في الله وهما من أهم مظاهر الولاء، والتناسق بين محور السورة وبين موضوعات السورة واضح، وذلك من خلال ما ذكرته السورة من ثلاث فئات في المجتمع المدني آنذاك؛ حيث الأعداء المحاربين، والمسالمين، والمؤمنين عموماً، والمهاجرات خصوصاً، والسورة مع ذكرها لهذه الفئات ذكرت الدستور في التعامل مع كل فئة، بحيث تكون العقيدة هي الأساس في التعامل، وعلى أساس ذلك يكون الولاء أو البراء، وهذا ما بينته سورة الممتحنة.

بدأت السورة بالنهي العام عن موالاة الأعداء المحاربين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَاداً فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴿١﴾﴾، والنهي هنا عن اتخاذهم أولياء وأخلاء وذلك بأي شكل من أشكال النصرة، إلا أن الآية قد حددت طبيعة هذا الاتخاذ: ﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ﴾، ودلالة الإلقاء تفيد "غاية الإسراع والمبادرة"[1] في مودة الأعداء، وهذه المودة قد تتخذ أشكالا كثيرة منها: نقل أخبار المسلمين وأسرارهم[2].

---

(1) البقاعي، **نظم الدرر**، ج19، ص 485.

(2) ينظر: الواحدي، **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ص1087؛ ينظر أيضا: السمعاني، **تفسير السمعاني**، ج5، ص413؛ البغوي، **معالم التنزيل**، ج8، ص93، وغيرهم.

ومن خلال سياق الآيات وما ورد في سبب نزولها[1]، نعلم أن الفئة المقصودة في الآيات هي المشركين من أهل مكة، وذلك يظهر من خلال ما ذكرته الآيات من وصفٍ لهذه الفئة المعادية للرسول صلى الله عليه وسلم ولصحابته رضوان الله عليهم، فقوله تعالى: ﴿...وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِي سَبِيلِي وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِيۚ ...﴾ [الممتحنة:1]، يبين أن المشركين هم الذين بدأوا المؤمنين بالأذى، فكان العدوان والكفر بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان إخراج المستضعفين من ديارهم ظلماً وجوراً،[2]، وفائدة ذكر العدوان والظلم في سياق النهي عن المسارعة في مودة المشركين، لتذكير المؤمنين بطبيعة الأعداء، فلا يتصور من مؤمن أن يواليهم ويودهم وهم يضمرون الأذى للمؤمنين، بل على المؤمن أن يكون حذراً ومتفطناً من العدو، فلا يشاركهم أسرار المؤمنين ولا يتخذهم أخلاء وأنصاراً[3].

ومن جانب آخر فإن الآيات ذكّرت المؤمنين بما تحمله قلوبهم من إيمان صادق انعكس على أفعالهم من هجرة خالصة لوجه الله، وجهاد في سبيل إعلاء كلمة الله، فكأن الآيات تخبرنا أن

---

(1) نزلت صدر سورة الممتحنة في الصحابي الجليل حاطب بن أبي بلتعة، ينظر: **صحيح البخاري**، كتاب الجهاد والسير، باب الجاسوس، ج4، ص59، رقم (3007) الواحدي، **أسباب النزول**، حديث رقم (811)، ص441.

(2) ينظر: القرضاوي، **فقه الجهاد**، ج1، ص 345، 346.

(3) ينظر: **دروزة، التفسير الحديث**، ج9، ص271.

من كان إيمانه متمكناً في قلبه، وكان مخلصاً لله، فلا يليق به أن يوالي الأعداء، فإن الإيمان الصادق لا يجتمع مع محبة الأعداء وولائهم[1].

ولعل الآيات تكشف لنا عن بعض الأخطاء التي وقع فيها الموالون للأعداء؛ من توهم النصرة والفائدة من مودة وولاء الأعداء والتقرب منهم[2]، وتفضيل الأقارب على حق الله في الولاء، فجاءت الآيات لتصحح تلك المعتقدات الخاطئة، ولتؤكد على مسألة وضع الولاء في موضعه الصحيح، فقوله تعالى: ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ ۝٢ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ ۚ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٣﴾ [الممتحنة]، واضح في التحذير من خيانة الأعداء وعدم التزامهم بعهد وميثاق[3]، فمتى كان العدو في موقف يمكنه من المؤمنين حتى تمتد أيادي الشر والعدوان والظلم، وهذا الفعل ليس بمستغرب من الأعداء، وربما يعلل بعض الناس أنه ما والى الأعداء إلا لتحقيق مصلحة ضرورية كحماية الأهل والمال...[4]، كما اعتذر حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه عندما والى المشركين بسبب

---

(1) ينظر: الصابوني، **مختصر ابن كثير**، ج3، ص482؛ السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، ص 854؛ الخطيب، **التفسير القرآني للقرآن**، ج14، ص892.

(2) ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج28، ص139.

(3) ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج29، ص 300.

(4) ينظر: السعدي، تيسير **الكريم الرحمن**، ص854.

قرابته الذين بمكة[1]، فبينت الآيات أن لا شيء يسوّغ ولاء الأعداء، وأن مصلحة المسلمين يجب أن تكون هي الأساس إن تعارضت مع المصالح الأخرى.

وبعد أن نهت الآيات عن موالاة الكافرين، وأنكرت على الذين يتقربون للأعداء بالولاء والمودة، ذكرت الآيات مثالاً على الولاء الصادق والإيمان القوي، وذلك حتى يقتدي المؤمنين بهذا النموذج[2]، فقال تعالى في سياق الحديث عن نبي الله إبراهيم عليه السلام: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ [الممتحنة: 4]، والآية تبين أن من سيرة إبراهيم عليه السلام التبرؤ من المشركين، وهذه البراءة تحمل أكثر من معنى: البراءة من المعبودات الباطلة، البراءة من المشركين بأن لا يصاحبوهم ويميلوا لحبهم ومودتهم، البراءة من الأقارب على وجه التحديد لأنهم مظنة قرب وحب، لذلك عقبت الآيات بذكر العداوة والبغضاء في التعامل مع المشركين، للدلالة على ضرورة إظهار البراءة منهم بما ينعكس على الأفعال والأقوال[3].

---

(1) ينظر: أبو حيان، **البحر المحيط**، ج10، ص154.

(2) ينظر: البغوي، **معالم التنزيل**، ج28، ص65؛ أبو حيان، **البحر المحيط**، ج10، ص154، ينظر أيضا: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج28، ص142.

(3) ينظر: الهرري: محمد الأمين، **حدائق الروح والريحان**، مراجعة: هاشم محمد مهدي، (بيروت: دار طوق النجاة، ط1، 2001م)، ج29، ص198- 199.

بعد أن بينت الآيات عداوة المشركين وما يجب أن يكون عليه المؤمن من براءة منهم وعدم ولائهم ومحبتهم، جاءت الآيات لتؤكد على ضرورة البراءة منهم، وذلك من خلال التأكيد على صفات الأعداء المذكورة في مقدمة السورة والتي تتلخص في بيان شدة عداوتهم وكيدهم للمؤمنين[1].

وفي نفس سياق الآيات بينت السورة فئة ثانية من المشركين لا يؤذون المؤمنين ولا يقاتلونهم، وكان بعض الصحابة رضي الله عنهم قد تشددوا في عداوة الأهل ظناً منهم أن النهي عن موالاتهم حكم عام يشمل كل من كان على الشرك[2]، فجاءت السورة بدستور يبين أساس العلاقة بين المسلمين وغيرهم، ويظهر ذلك جلياً في قوله تعالى: ﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٨ إِنَّمَا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَأَخۡرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخۡرَاجِكُمۡ أَن تَوَلَّوۡهُمۡۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٩﴾ [الممتحنة]، فذكرت الآيات صنفين من غير المسلمين؛ فئة تتصف بالسلم مع المسلمين، ويظهر ذلك واضحاً من قوله تعالى: ﴿ لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ...﴾[الممتحنة: 8].

هذه الفئة المسالمة التي لا يظهر منها أي بوادر شر وعدوان وظلم، ولا تميل إلى الخيانة والتآمر مع المحاربين، وإنما يظهر منها حسن الجوار والتعامل حسب الحقوق والواجبات، فهؤلاء نتعامل معهم بالإحسان، ولا نظلمهم ونعتدي عليهم دون أي سبب[3]، بل إن الآية رغبت في برّهم

---

(1) ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج28، ص151، الشوكاني، **فتح القدير**، ج5، ص254.

(2) ينظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج4، ص515؛ السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، ص 856.

(3) ينظر: القرضاوي: **غير المسلمين في المجتمع الإسلامي**، (القاهرة: مكتبة وهبة، ط3، 1992م)، ص40.

والإحسان إليهم بدليل قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ)، فكثير من العلاقات والواجبات قائمة بين المسلمين وبين هذه الفئة بحكم الطبيعة البشرية الاجتماعية[1].

أما فئة المحاربين للإسلام والمسلمين، فقد نهت الآيات عن ولائهم بأي شكل من أشكال الولاء سواء بالمودة، أو باتخاذهم بطانة وأخلاء، وقد ركزت مقدمة السورة على هذه الفئة وبينت شدة عداوتهم وكيدهم للإسلام والمسلمين: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَٰدٗا فِي سَبِيلِي وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِيۚ... ۝١ إِن يَثۡقَفُوكُمۡ يَكُونُواْ لَكُمۡ أَعۡدَآءٗ وَيَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ وَأَلۡسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ ۝٢ ﴾ [الممتحنة]، وقد ارتبط النهي عن ولاء الكافرين بذكر العداوة للإسلام والمسلمين، وهذا الارتباط نجده في قوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ...﴾ [المجادلة:22]، فالآية تبين أن هذه الفئة قد جمعت بين الكفر والعدوان، وفي قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةٗ مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ [آل عمران: 118]، وهذه الآية دليل على شدة العداوة والكراهية التي يحملها الأعداء ضد الإسلام والمسلمين، فالآيات واضحة في النهي عن الذين يعادون الإسلام والمسلمين بالحرب والعدوان[2].

---

(1) القرضاوي، **فقه الجهاد**، ج2، ص 1145.

(2) القرضاوي، **الحلال والحرام في الإسلام**، (القاهرة: مكتبة وهبة، ط1، 2012م)، ص390، 391.

وبذلك تتضح طبيعة العلاقة مع غير المسلمين، ويمكن أن نوجز ما يتعلق بالمسألة أن النهي عن الولاء يشمل كل المخالفين للإسلام بحكم كفرهم، فيجب على المؤمن أن يحقق ولاءه لله وللرسول وللمؤمنين، ومن جانب آخر فإن المودة التي نهت عنها الآيات إنما هي في شأن الذين يؤذون المسلمين ويحادون الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وهذا المعنى نفهمه من سياق الآيات الناهية عن ولاء الكافرين، أما ما يتعلق بالمسالمين فإن الشريعة أمرتنا ببرهم والعدل معهم[1].

ثم تنتقل السورة لتبين الفئة الثالثة؛ وذلك في سياق الحديث عن جملة من النساء آمنّ بالله، ولم يسلم أزواجهن، فكانت هجرتهن إلى المدينة المنورة فراراً من المشركين، وذلك يظهر في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٖ فَٱمۡتَحِنُوهُنَّۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّۖ فَإِنۡ عَلِمۡتُمُوهُنَّ مُؤۡمِنَٰتٖ فَلَا تَرۡجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلۡكُفَّارِۖ لَا هُنَّ حِلّٞ لَّهُمۡ وَلَا هُمۡ يَحِلُّونَ لَهُنَّۖ...﴾[الممتحنة: 10]، فهجرة الصحابيات رضوان الله عليهن وترك الأزواج المشركين من أوضح صور تحقيق الولاء لله وللرسول صلى الله عليه وسلم، إلا أن الآيات ذكرت وجوب امتحانهن في إيمانهن وذلك للتأكد من رسوخ الإيمان وأنهن ما خرجن إلا حباً لله ورسوله، تاركين الزوج والوطن[2]، فإن صح إيمانهن وولاؤهن لله وللرسول صلى الله عليه وسلم كانت المفارقة بينهن وبين أزواجهن الكفار، وفي ذلك تأكيد على أن الإيمان هو الفيصل في العلاقات[3].

وتختم السورة بالنهي عن موالاة الكفار كما بدأت السورة، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَما يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحابِ الْقُبُورِ (13)﴾،

---

(1) ينظر: القرضاوي، **غير المسلمين في المجتمع الإسلامي**، ص56.

(2) ينظر: الطبري، **جامع البيان**، ج23، ص325؛ القرضاوي، **فقه الجهاد**، ج1، ص 116.

(3) ينظر: سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج6، ص 421.

والنهي يشمل كل من غضب الله عليه ولعنه واستحق الطرد من رحمته تعالى، وذلك يشمل الكافرين واليهود والنصارى.

وبذلك تكون السورة قد أكدت على موضوع الولاء وضرورة تحريره لله وللرسول، ونفرت المؤمنين من توليهم، وذلك من خلال ما بدأت به السورة من نهي عن اتخاذ الكافرين أولياء، ثم تطرقت السورة للحديث عن هجرة النساء وبيعتهن، والحديث عن الهجرة والبيعة في هذا السياق له دلالة واضحة على موضوع الولاء، إذ إن الهجرة والبيعة لله وللرسول من مظاهر الولاء الخالص، ففي كل موضع من مواضع السورة تظهر لنا صعوبة امتحان الولاء، فلا يحقق الولاء الصحيح إلا من قوّم العقيدة ونقاها من شوائب النفاق[1].

(1) ينظر: أبو حيان، **البحر المحيط**، ج10، ص161؛ البقاعي، **نظم الدرر**، ج19، ص؛ حوى، **الأساس**، ج10، ص 5859.

تنويه

وفاء بتحقيق أهداف الدراسة من خلال عنوانها، فلا بد من بيان أن بعض السور المدنية قد ورد فيها لفظ الولاء باختصار شديد، وهنا سأبين هذه المواضع والحديث عنها باختصار.

أولاً: سورة الأحزاب:

مقصد السورة هو "الحث على الصدق في التوجه إلى الخالق من غير مراعاة بوجه ما للخلائق، لأنه عليم بما يصلحهم، حكيم فيما يفعله"[1]، والسورة –من اسمها– تحدثت عن غزوة الأحزاب (الخندق).

تناولت السورة الحديث عن غزوة الخندق وما كان من شدة ومحنة كشفت عن موقف المنافقين الذي يدل على ضعف إيمانهم، ومن ناحية أخرى بينت السورة موقف المؤمنين الثابتين على نصرة رسول الله وقت الشدة والمحنة، ولم تأت آيات الولاء والبراء مفصلة في السورة، إنما في الفاصلة القرآنية في قوله تعالى: ﴿قُلۡ مَن ذَا ٱلَّذِي يَعۡصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَ بِكُمۡ سُوٓءًا أَوۡ أَرَادَ بِكُمۡ رَحۡمَةٗۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ١٧﴾، وهي في سياق نفي الولاية والنصرة عن المنافقين، وفي قوله تعالى:﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمۡ سَعِيرًا ٦٤ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ٦٥﴾.

وتحدثت سورة الأحزاب عن موقف المنافقين في غزوة الخندق؛ من أعذار كاذبة كان الهدف منها الهروب من نصرة رسول الله والمؤمنين، ولم يكتف المنافقون بذلك بل امتد أذاهم إلى نشر

---

(1) البقاعي، **مصاعد النظر**، ج2، ص370.

الفتنة وتثبيط عزائم المؤمنين، فالتشكيك من وعد رسول الله كان واضحًا في هذه الغزوة[1]، وموقف المنافقين في غزوة الخندق وفي غزوة تبوك يجمعهما رابط مشترك، وهو "وهن الدين وضعفه في قلوبهم، فلا قرار له في نفوسهم، ولا أثر له في قلوبهم، فهو لا يستطيع مقابلة الصعاب، ولا مقاومة الشدائد"[2].

نلحظ أن لفظ الولاء في الموضعين اقترن بالنصير، فالموضع الأول في سياق الحديث عن المنافقين، والثاني في سياق الحديث عن الكافرين، وهذا مناسب لاسم السورة، حيث أهمية الولي الناصر في مثل هذه المواقف، ومناسب ومتناسق لمحور السورة حيث دعوة المؤمنين إلى صدق التوجه إلى الله سبحانه وتعالى، من غير مراعاه للخلق.

ثانيًا: سورة محمد صلى الله عليه وسلم:

يدور محور سورة محمد حول "الحرب والفتح وكبح جماح الفاتحين، فالسورة إنجاز لما في سورة الأحقاف من نصر وهلاك الفاسقين وخذلانهم"[3]، وهذه السورة من اسمها الآخر (القتال) حيث الدلالة الواضحة على موضوعها، ابتدأت بالحديث عن الكافرين وشدة أذاهم، وما ينبغي أن يكون عليه المؤمنون في سبيل صدهم، ولا غرابة أن تسمى السورة باسم محمد صلى الله عليه وسلم، ليكون قدوة المؤمنين في الأمور كلها، حتى القتال الذي لا بد منه باعتبار سنة المدافعة.

---

(1) ينظر: السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، ص660.

(2) المراغي، **تفسير المراغي**، ج21، ص142.

(3) الفراهي، **دلائل النظام**، ص97.

ورد لفظ الولاء مرة واحدة في هذا السياق المتحدث عن الكافرين وضرورة الاستعداد لهم، وأن الله ناصر من نصره، وهي سنته تعالى في نصرة المتقين وهزيمة الكافرين[1]، ومن يسر في الأرض يجد مصداق هذا، والسبب أن ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ ﴿١١﴾﴾، وبذلك تناسقت الآية مع الوحدة الموضوعية للسورة والذي يتحدث عن النصر للمؤمنين والهلاك للفاسقين.

ثالثًا: سورة الجمعة:

يدور محور السورة حول "الحث على الاجتهاد التام والاجتماع على قلب واحد، ومن هنا جاءت دلالة (الجمعة) حيث الدلالة على فريضة الجمعة وما فيها من اجتماع المؤمنين والإقبال عليها[2]، ولعل في ذلك دلالة إلى أهمية ما ينبغي أن يحصن المسلمين من الأذى المعنوي، إضافة إلى أهمية اجتماعهم وأخوتهم والتفافهم حول النبي صلى الله عليه وسلم، وفي معرض نقد اليهود جاء قوله تعالى:﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ أَوۡلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾﴾، وذلك حين زعموا أنهم المفضلون على العالمين دوما، فكان التحدي لهم بأن يتمنوا الموت، ولن يتمنوه حيث جبنهم وخوفهم من سوء أعمالهم وصفاتهم الفاسدة[3].

وفي هذا تعريض بهم أنهم لا يستحقون الولاية، فالولاية الحقة هي التي تدفع المؤمن إلى أن يضحي بنفسه في سبيل الله، ولذلك كان الحديث في آخر السورة عن الجمعة، وكيف انفض بعض

---

(1) ينظر: العليمي، **فتح الرحمن في تفسير القرآن**، ج6، ص313.

(2) ينظر: البقاعي، **مصاعد النظر**، ج3، ص83.

(3) ينظر: السمرقندي، **بحر العلوم**، ج3، ص447؛ الخازن، **لباب التأويل**، ج4، 290.

الناس عن النبي صلى الله عليه وسلم حين رأوا التجارة واللهو[1]، فالولاء الخالص يستدعي الالتفاف الدائم حول النبي صلى الله عليه وسلم وشرعه، وبذلك تكون الآية متناسقة مع مقصد السورة واسمها والتي تدعو إلى الاجتماع.

رابعًا: سورة التحريم:

يدور موضوع السورة حول "الحث على تقدير التدبير في الآداب مع الله ومع رسول الله لاسيما للنساء، إقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في حسن عشرته وكريم صحبته"[2]، فتحدث مطلع السورة عن موضوع التحريم، في قصة النبي صلى الله عليه وسلم مع بعض أزواجه[3]، وبقية السورة عن تحصين المجتمع، والتوبة، وأهمية الانتباه إلى كيد الكافرين والمنافقين، وضرب الأمثلة لطائفتي الإيمان والكفر.

وورد لفظ الولي في السورة مرتين في مطلعها، في قصة التحريم: ﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ ۚ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾،﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾﴾، والخطاب وإن كان

---

(1) عن جابر بن عبد الله، " أن النبي صلى الله عليه وسلم، كان يخطب قائما يوم الجمعة، فجاءت عير من الشام، فانفتل الناس إليها، حتى لم يبق إلا اثنا عشر رجلا، فأنزلت هذه الآية التي في الجمعة: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾. الرواية أخرجها مسلم في **صحيحه**، كتاب الجمعة، قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾[الجمعة:11]، ج2، ص590، حديث رقم (863).

(2) البقاعي، **مصاعد النظر**، ج3، ص99.

(3) ينظر ما أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب الطلاق، باب قوله تعالى: ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾،ج7، ص44، حديث رقم (5267).

خاصا بأزواج النبي صلى الله عليه وسلم، إلا أن فيه إرشادا إلى الجميع في أهمية موضوع الولاية، وأن نتذكر أن الله مولى نبيه، ومولى المؤمنين، لا تخفى عليه خافية، ولا يعجزه شيء، ومن هنا كان الإرشاد إلى تحصين البيوت، وأهمية التربية على المبادئ، وأن يختار أحدنا أي النموذجين في الاتباع، حيث مثل الكافرين ومثل المؤمنين، وسبحان من جعل من نساء بعض الأنبياء مثالا للكافرين، ومن نساء الكافرين مثالا للمؤمنين، فهو وحده صاحب الشأن، وهو الذي ينبغي أن تتوجه ولايتنا إليه، سبحانه.

الفصل الخامس: تناسق آيات الولاء والبراء مع جزئيات العقيدة والأخلاق

المبحث الأول: مرتبة آيات الولاء والبراء في القرآن

المبحث الثاني: تناسق آيات الولاء والبراء مع جزئيات العقيدة

المبحث الثالث: تناسق آيات الولاء والبراء مع جزئيات الأخلاق

المبحث الأول: مرتبة آيات الولاء والبراء في القرآن

مرتبة أي موضوع وأهميته في القرآن من خلال طبيعة الموضوع نفسه؛ ضمن أي صنف من أصناف الدين هو؟ ومدى ارتباطه بالموضوعات الأخرى ذات الأهمية، ثم من حيث الكم الذي ورد فيه، فلا شك أن كثرة وروده دليل أهمية.

بناء عليه، يمكننا القول إن مرتبة آيات الولاء والبراء في القرآن خصوصا، وفي الإسلام عمومًا هي مرتبة عالية، فهو موضوع له ارتباط وثيق بموضوع العقيدة، وهذا ما بينته دراسة آيات الولاء والبراء في القسم المكي والمدني، بل مرتبط بالتوحيد الخالص لله تعالى.

وببعض التفصيل يمكن القول إن الآيات المكية والمدنية تكاملت في عرض التطبيقات العملية للولاء، وذلك تبين من خلال دراسة الآيات من خلال السياق الذي جاءت فيه، فالدلالة السياقية لمعنى الولي في الآيات المدنية تأتي غالبا بمعنى النصرة والتعاون والمؤازرة والمودّة، أما في الآيات المكية فمعنى الولي يأتي غالبا بمعنى الرب والآلهة المعبودة من دون الله[1]، هذا الاختلاف في المعنى حسب سياق الآيات يضفي نوعا من الأهمية على هذا الموضوع.

---

(1) ذكر يحيى بن سلام في **كتابه التصاريف:** تفسير الولي على أحد عشر وجهًا، منها ما له علاقة بموضوعنا، وذلك ما جاء "في الوجه الرابع: الولي بمعنى الرب، وذلك قوله في سورةِ الأَنعام: ﴿قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا ...(14)﴾ ، وكقوله في سورة الأَعراف: ﴿...وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۚ (3)﴾، وسورة الشورى:﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۖ...(9)﴾، وفي الوجهة السادس: الولي بمعنى الآلهة كما في قوله تعالى في سورة الجاثية: ﴿..وَلَا يُغْنِي عَنْهُم مَّا كَسَبُواْ شَيْئاً وَلَا مَا اتخذوا مِن دُونِ الله أَوْلِيَآءَ...(10)﴾،

ثم إن تعدد الآيات التي تحدثت عن موضوع الولاء والبراء دليل على أهميته، سواء كانت الآيات صريحة في الولاء والبراء كمجيء لفظ ولي واشتقاقاته (ولي، أولياء، مولى)، أو الجمع بين (ولي) (نصير)، (ولي) (شفيع)، أو تناولت مظهرًا من مظاهر الولاء والبراء سواء كانت هذه المظاهر من المظاهر الصالحة: كالطاعة والمحبة والعبادة والنصرة والمودة والهجرة والجهاد والإيثار، أو من مظاهر الولاء الفاسدة كاتخاذ الكافرين بطانة ووليجة والركون إليهم.

وهناك جانب آخر يُظهر لنا مرتبة الآيات، هو كثرة السور المتحدثة عن الولاء والبراء، المدنية والمكية، فقد بلغ عدد السور التي تناولت موضوع الولاء والبراء سبعة وثلاثين سورة، بالإضافة إلى اهتمام بعض السور في عرض موضوع الولاء والبراء حيث احتوت عددا من المواضع.

وببعض التفصيل لما ذكر حول ارتباط موضوع الولاء بغيره من الموضوعات نرى آيات الولاء والبراء مرتبطة مع جزئيات العقيدة، ونجدها مرتبطة بموضوع الأخلاق، كما سيتبين في مباحث هذا الفصل، كذلك ارتباط الولاء والبراء بالحديث عن المنافقين وصفاتهم، وأهل الكتاب وكيفية التعامل معهم وبعض صفاتهم، وكذلك ارتباط آيات الولاء بالجهاد في سبيل الله بالأموال والأنفس.

=وفي سورة الزمر: ﴿والذين اتخذوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَآءَ(3)﴾، ابن سلام: يحيى، **التصاريف لتفسير مما اشتبهت أسماؤه وتصرفت معانيه**، تحقيق: هند شلبي، (د.م: الشركة التونسية، د.ط، 1979م)، ص 236، 237.

المبحث الثاني: تناسق آيات الولاء والبراء مع جزئيات العقيدة

تختلف طبيعة دراسة هذا المبحث عن بقية الفصول، حيث سأبين كيف أن آيات الولاء قد تناسقت مع عرض موضوع العقيدة، فمن خلال دراسة الآيات نجد أن آيات الولاء والبراء في القرآن قد تناسقت وأعطت منهجًا واضحًا يمكن للمؤمن السير عليه حتى تستقيم هذه العقيدة، وذلك من خلال عرض الآيات للجانب التأصيلي لهذه العقيدة في نفوس المؤمنين، والجانب التطبيقي والوقائي الذي يُقّوم العقيدة ويحميها من الخلل والانحراف، وسوف أعرض باختصار كيف تكاملت الآيات المكية والمدنية في عرضها لموضوع العقيدة وذلك على النحو الآتي:

المطلب الأول: الجانب التأصيلي:

ناقشت الآيات المكية مسألة توحيد الله واستحقاقه للعبادة والطاعة والولاء، وذلك من خلال بيان ألوهية الله سبحانه وتعالى، وذلك للرد على من اتخذ الأنداد من دون الله[1] كما قال تعالى في سورة الأعراف: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾﴾، وفي سورة الرعد: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا... ﴿١٦﴾﴾، وغيرها من الآيات التي بينت عجز الآلهة، وخلصت الآيات بعد مناقشة المشركين في حقارة ما يعبدونه، أن الله هو الولي الذي له الصفات

---

(1) من الأساليب التي اتخذتها الآيات المكية في الإنكار على المشركين، بيان ضعف الآلهة وأنها لا تضر ولا تنفع، بيان أنها مخلوقة، لا تملك الشفاعة لعابديها، لا تملك الرزق...، "فإن كانت عاجزة عن تحصيل المنفعة، كانت عبادتها محض عبث وسفه". ابن عادل الحنبلي، **اللباب في علوم الكتاب**، ج11، ص382.

العليا والمستحق للعبادة وإخلاص القصد والطاعة، وتوحيد الله لا يستقيم ما لم يخلع العبد كل ما عبد من دون الله، والبراءة من الشرك والمشركين؛ لذلك نجد الآيات قد ربطت بين توحيد الله وإخلاص العبادة لله، وبين البراءة من الشرك والأوثان والطواغيت[1]، ونجد هذا واضحاً في دعوة الأنبياء عليهم السلام، حيث جمعت دعوتهم بين التبرؤ من الشرك وكل ما يعبد من دون الله، وإثبات وحدانية الله سبحانه وتعالى[2].

ولم تغفل الآيات المدنية الجانب التأصيلي للولاء والبراء، فعرضت سورة البقرة لقاعدة الحب في الله والبغض في الله وذلك واضح في قوله تعالى:﴿...فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ ...﴾[البقرة:256]، وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ...﴾[3] [البقرة:165]، ثم بيان

---

(1) يقول ابن تيمية: "البغض والعداوة والبراءة مما يعبد من دون الله ومن عابديه أمور موجودة في القلب وعلى اللسان والجوارح، كما أن حب الله وموالاته وموالاة أوليائه أمور موجودة في القلب وعلى اللسان والجوارح، وهي تحقيق قول لا إله إلا الله، وهو إثبات تأليه القلب حبًا خالصًا وذلا صادقًا، ومنع تأليهه لغير الله..."، ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، ج14، ص280.

(2) كما جاء في رد نبي الله هود عليه السلام على قومه:﴿ ...قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ(54)﴾[هود] وفي رد نبي الله إبراهيم على ضلال قومه: ﴿...قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ (78) إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ (79)﴾[الأنعام].

(3) جاءت الآية لتبين شدة محبة العبد لله سبحانه وتعالى ورسوخها في قلب المؤمن، فمن كمال محبتهم لله لا يشركون به شيئا، بل يعبدونه مخلصين له ويسعون لنيل مرضاه الله في كل الأوقات، وذلك مقارنة بمحبة الكافرين للأنداد محبة فاسدة مبنية على المصالح. ينظر البيضاوي، **أنوار التنزيل**، ج1، 117؛ ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج1، ص476.

النتيجة المترتبة على تحقيق هذه القاعدة: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ...﴾ [البقرة: 257].

وركزت سورة التوبة على تأصيل قاعدتين: رابطة العقيدة هي الأساس في التعامل مع الآخرين، وحب الله ورسوله فوق حب الدنيا وشهواتها، وهذا ما دل عليه قوله تعالى في السورة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ... ٢٣﴾،﴿قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٤﴾[1].

وركزت سورتا المائدة والمجادلة على الربط بين الولاء الخالص وبين الإيمان، فقال تعالى في سورة المائدة: ﴿ تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ٨٠ وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمۡ أَوۡلِيَآءَ ... ٨١ ﴾، وقال في سورة المجادلة:﴿ لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ

---

(1) ركزت سورة التوبة على أهمية توطيد رابطة العقيدة في نفوس المؤمنين وجعلها هي الأساس في العلاقات دون الاعتبار لأي صلات أخرى، لذلك جاءت الآيات بأسلوب قوي وحاسم، للدلالة على أهمية تأصيل هذه القاعدة في نفوس المؤمنين، وكون السورة تتحدث عن الجهاد في سبيل الله فقد بينت أن ثمرة الجهاد لا تتحقق إلا بإخلاص الولاء وترك موالاة الأعداء. ينظر: الزحيلي، **المنير**، م5، ص49؛ دروزة، **التفسير الحديث**، ج9، ص380،381.

وَرَسُولَهُۥ... ﴿٢٢﴾﴾، فإن الولاء الصحيح لله وللرسول صلى الله عليه وسلم دليل على قوة الإيمان وتمكنه في القلب لذلك انعكس على أفعال المؤمن، بينما مودة الكافرين دليل على ضعف الإيمان وحدوث الخلل فيه[1].

المطلب الثاني: الجانب التطبيقي والوقائي لعقيدة الولاء والبراء:

اهتمت الآيات عموما بعرض الجانب التطبيقي لعقيدة الولاء والبراء، والغرض من ذلك تصحيح هذه العقيدة والحفاظ عليها من الضياع والتشتت، فجاءت الآيات بجوانب تطبيقية إن فعلها المؤمن كانت خير معين على الثبات والتمكين وإخلاص الولاء، وجوانب أخرى تطبيقية إن فعلها المؤمن كانت سبباً لضياع العقيدة وتشتتها.

فمن الجوانب التطبيقية التي أمرت بها الآيات، وارتبطت بالولاء ارتباطاً وثيقاً؛ الأمر بطاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ونلحظ هذا الارتباط بينهما في سورتي آل عمران والأنفال، ففي سورة آل عمران قال تعالى: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ... ﴿٣١﴾ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾، وذلك بعد النهي عن موالاة الكافرين: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ... ﴿٢٨﴾﴾، أما في سورة الأنفال فقد جاء الأمر بطاعة الله والرسول في موضعين:﴿... وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١﴾﴾، ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ... ﴿٤٦﴾﴾، بينما ركزت سورة المائدة على ضرورة الثبات على حكم الله،

---

(1) ينظر: ابن الجوزي، **زاد المسير**، ج4، ص252، ابن تيمية، **الإيمان الأوسط**، تحقيق: محمود أبو سن، (الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط1، 1422هـ)، ص428.

وذلك في سياق النهي عن موالاة أهل الكتاب: ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ.. ﴿٤٩﴾... يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ... ﴿٥١﴾﴾.

ومن الأدلة العملية على تحقق الحب لله ما كان من موقف المهاجرين رضوان الله عليهم وهجرتهم من دار الشرك[1]، كما عرضته سورة الأنفال:﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖ...﴿٧٢﴾﴾، والحشر: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾﴾، ثم ما كان من هجرة الصحابيات رضي الله عنهن واختبارهن في إيمانهن كما في سورة الممتحنة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٖ فَٱمۡتَحِنُوهُنَّۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّۖ... ﴿١٠﴾﴾، فهجرتهن من أوضح الأدلة على إخلاص الولاء والبراءة من المشركين، والامتحان لتأكد من صدق الإيمان وإخلاص القصد لله والرسول صلى الله عليه وسلم[2].

ولعل من أوضح التطبيقات العملية الدالة على صحة الولاء والبراء، الجهاد والإنفاق في سبيل الله ونصرة الإسلام والمسلمين، حيث ارتبط تحقيق الغاية من الجهاد بإخلاص الولاء لله

---

(1) تظهر علاقة الهجرة بالولاء الخالص، أن الهجرة دليل على صدق الإيمان، فمفارقة الوطن والأهل والمال في سبيل نصرة الدين دليل على تمكن محبة الله، ومن جانب آخر فإن الهجرة تحقق مقتضيات الولاء بين المؤمنين من اجتماع ونصرة ومعاونة وحصول الألفة والقوة في الصف المؤمن. (ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج15، ص؛ الزمخشري، **الكشاف**، ج2، ص240).

(2) ينظر: الواحدي، **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ص1090.

ورسوله والمؤمنين، وهذا ما تحدثت عنه السور التي تناولت الحديث عن غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ ففي وقت الشدة والعسرة تظهر حقيقة الولاء لله وللرسول وللمؤمنين، لذلك كان اختبار المؤمنين في الجهاد، فهو الذي يحدد صدق الإيمان ومدى انعكاسه على الولاء، وفي المقابل يبين رياء المنافقين وتشتت ولائهم[1]، وهذا ما ركزت عليه سور التوبة والأحزاب وآل عمران، ولعل من أوضح الأدلة على ارتباط الجهاد بالولاء قوله تعالى في سياق الحديث عن صفات حزب الله[2]: ﴿.. يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ...﴾ [المائدة:54].

أما الجانب الآخر الذي ناقشته الآيات فهو تطبيقات تدل على تشتت الولاء وتميع العقيدة وذوبان الشخصية الإيمانية، حيث موالاة أهل الكتاب والكافرين الذين لهم صبغة عدوانية، وقد ركزت الآيات المدنية على عدة جوانب تدل على ضعف العقيدة نذكر منها: نصرة الأعداء والتعاون معهم واتخاذهم موطن قرب وبطانة[3]، الميل لهم والركون إليهم[4]، طاعتهم[5]، الالتجاء إليهم

---

(1) ينظر: الطبري، **جامع البيان**، 5، ص316؛ الماتريدي، **تأويلات أهل السنة**، ج5، ص312.

(2) ربطت الآية بين محبة الله سبحانه وتعالى وبين الجهاد في سبيل الله، وذلك في سياق الحديث عن حزب الله الذين يحققون الإيمان الصادق الراسخ في قلوبهم، ومن ثم انعكاس هذه المحبة عل أفعالهم، فيؤثرون إقامة الحق ونصرة الإسلام والمسلمين على سائر ما يحبون من أمور دنيوية. ينظر: المراغي، **تفسير المراغي**، ج6، ص139(بتصرف بسيط).

(3) قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةٗ مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا.. (118)﴾.

(4) قوله تعالى في سورة هود: ﴿ وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ...(113)﴾.

(5) قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ(100)﴾، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ(149)﴾.

وطلب العزة والنصرة، وكل تلك المظاهر ركزت الآيات على تصحيحها وتنبيه المؤمنين لعاقبة الانخراط والانصهار في حزب الأعداء، ويمكن أن نسمي ذلك بالجانب الوقائي لحماية العقيدة.

سلكت الآيات عدة طرق في سبيل ذلك: حيث الحديث عن المنافقين وصفاتهم واستسلامهم للأعداء، ثم ما كان من حديث عن كيد الأعداء وتحزبهم على الإسلام والمسلمين، والسعي لنشر الفتن، فذكر الآيات لعلة النهي يجعل المؤمن فطنًا ذو علم بحقيقة أمرهم وطريقة تفكيرهم فلا يتخذهم أولياء، لذلك كان أولى طرق التحرر من أعداء الإسلام نشر الوعي بين أفراد المجتمع[1]. ثم ما بينته الآيات من عاقبة تشتت الولاء: الردة والتفرق والخسران والظلم والفسوق، والمؤمن يسعى ألا يتصف بهذه الصفات، وأخيرًا النتيجة المترتبة على الولاء الصحيح: الفوز والنصر وولاية الله سبحانه وتعالى، حتى يسعى المؤمن لأن يكون من حزب الله: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ٥٦﴾ [المائدة:56]، ﴿...أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [المجادلة:22].

وهكذا تكون الآيات قد تكاملت في عرض عقيدة الولاء وذلك من عدة جوانب: التأصيلي والتطبيقي والوقائي، حتى يلتزم المؤمن بذلك ويسير وفق المنهج القرآني.

---

(1) ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج4، ص64؛ الكيلاني، إبراهيم، **خصائص الأمة الإسلامية الحضارية كما تبينها سورة المائدة**، ص160.

المبحث الثالث: تناسق آيات الولاء والبراء مع جزئيات الأخلاق

تناسقت آيات الولاء والبراء في القرآن في عرض موضوع الأخلاق، وذلك بين المدح والذم، فمدحت الآيات المؤمنين الذين التزموا بالولاء الصحيح وبينت صفاتهم وأخلاقهم الحسنة، وذمت الكافرين والمنافقين الذين تشتت ولاؤهم واتصفوا بالصفات الذميمة، وبذلك يتبين لنا التكامل في عرض الأخلاق، حيث سعت الآيات إلى رسم ملامح الشخصية المؤمنة المعتزة بإيمانها، الناصرة للإسلام والمسلمين، المندمجة في بنية المجتمع المسلم، فإن تحقق الولاء في واقع الأمة الإسلامية دليل على فاعلية الفرد المسلم وصدق انتمائه لله سبحانه وتعالى، وفاعليته في المجتمع، حيث يحقق الولاء قولا وفعلا ومن خلال المواقف التي يتخذها في حياته[1] فصلاح المجتمع نابع من صلاح الفرد، وبناء على ذلك يمكن تقسيم الحديث عن تناسق آيات الولاء والبراء مع الأخلاق على جانبين:

الأول: الإصلاح الفردي، وذلك بالحث على الأخلاق الحميدة التي تساعد على صلاح الفرد واعتزازه بنفسه وإيمانه.

الثاني: ما يتعلق بالإصلاح المجتمعي والأخلاق التي يجب أن يلتزم بها المؤمنون فيما بينهم، ولم تكتف الآيات بالحديث عن الأخلاق عند المؤمنين؛ إنما اتخذت أسلوب المقارنة بين أخلاق أولياء الله وصفاتهم، وبين أخلاق المنافقين وصفاتهم وذلك بين المدح والذم، وبالنظر إلى الجانبين فإننا

---

(1) الكيلاني: ماجد عرسان، **إخراج الأمة المسلمة وعوامل صحتها ومرضها**، (قطر: رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الإسلامية، ط1، 1412هـ)، ص103.

نلحظ تناسق الآيات في عرض ما يتعلق بالأخلاق وانسجامها مع ما دعت إليه الآيات من ولاء لله ورسوله والمؤمنين، وسأشير باختصار إلى ذلك على النحو الآتي:

المطلب الأول: دعوة آيات الولاء والبراء إلى الإصلاح الفردي:

من خلال عرض آيات الولاء والبراء نلحظ أنها دعت إلى أخلاق يجب على المؤمن أن يلتزم بها حتى يتحقق الصلاح الفردي، وذلك ما يرتقي بعلاقة المؤمن بالله سبحانه وتعالى، ويمكن أن ألخص أبرز الأخلاق والصفات الحميدة على النحو الآتي: التقوى والثبات، الاستسلام والخشوع لله سبحانه وتعالى، والخضوع والاستسلام لله، وحسن التوكل والالتجاء إلى الله، وهذه الصفات التي دعت إليها الآيات جاءت في سبيل المقارنة بين المؤمنين والمنافقين.

فمن الأخلاق، بل المبادئ التي دعت إليها آيات الولاء والبراء تقوى الله، وقد وردت التقوى في سياق الحديث عن الولاء والبراء في سورتي آل عمران والمائدة؛ ففي سورة آل عمران جاء الحديث عن تقوى الله في سياق النهي عن طاعة أهل الكتاب، ودعوة المؤمنين إلى تقوى الله، والثبات على الإيمان، والاجتماع لمواجهة العدو[1]: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ...١٠٣﴾، فهذه المقومات تحمي المؤمن من الوقوع في الزلل. أما في سورة المائدة فجاءت الدعوة إلى تقوى الله في سياق النهي عن موالاة الذين اتخذوا دين الله هزوا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٥٧﴾، فإن تقوى الله سبحانه سبيل لحماية المؤمن

---

(1) ينظر: الخطيب، **التفسير القرآني للقرآن**، ج2، ص240.

من الوقوع في ولاء الأعداء[1]، وتقوى الله يجب أن تكون حاضرة عند المؤمن في كل الأحوال، فذلك من صفات المؤمنين أولياء الله[2]، فقد جاء في وصفهم في سورة يونس: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣﴾، وفي المقابل ربطت الآيات بين عدم تحقق الولاء وبين تحقق صفة الظلم، فقد ارتبط الظلم بتحقيق الولاية للكافرين في ثلاثة مواضع؛ في سورة التوبة: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣﴾، وفي سورة المائدة: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥١﴾، وفي سورة الممتحنة: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٩﴾.

ومن المقارنات بين أخلاق المؤمنين والمنافقين المقارنة بينهما في خلق الثبات وعدم التزحزح عن القيم والمبادئ، ففي سورة آل عمران جاء الأمر بالثبات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾، وذلك في سياق الحديث عن النهي عن طاعة أهل الكتاب، فدل ذلك أن الثبات من الأخلاق التي يجب أن يلتزم بها المؤمن لأنها تعين على اتخاذ المواقف الصحيحة في الولاء والبراء، أما في سياق الحديث عن المنافقين الذين يوالون الأعداء نجد أن الآيات قد وصفتهم بالتذبذب والاضطراب فلا يثبتون على حال[3]، وهذا ما أكدت عليه آيات النساء:﴿ مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ ١٤٣﴾، والمجادلة: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ

---

(1) ينظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج1، ص650.

(2) ينظر: أبو حيان، **البحر المحيط**، ج6، ص81.

(3) ينظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج2، ص127.

قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ... ﴿١٤﴾﴾، وفي باقي السور المدنية بشكل غير مباشر، حيث إن تشتت ولاء المنافقين راجع إلى أن الإيمان غير مستقر في قلوبهم، فلو كان مستقر وثابت لما تبدلت مواقفهم حسب المصالح والأهواء[1].

ولعل من أوضح المقارنات بين المؤمنين والمنافقين في الولاء ما كان من ربط بين الولاء وبين عبادات ظاهرة مثل: إقامة الصلاة والركوع وإيتاء الزكاة والذكر على وجه الخصوص[2]، فتَحقُّق هذه الأفعال من المؤمنين دليل على تحقق الخشية والذل والاستسلام لله، وانتفاؤها عند المنافقين دليل على ضعف الإيمان، وضعف الإيمان يؤدي إلى عدم الثبات والاستقرار.

وأخيرًا قارنت الآيات بين المؤمنين والمنافقين في تحقق صفة التوكل على الله واليقين به سبحانه وتعالى، متوكلاً على الله سبحانه وتعالى في نصرة الإسلام والمسلمين، ويثق بنصر الله بعد إخلاص الولاء له سبحانه وتعالى، وهذا اليقين والتوكل والغنى انعدم عند المنافقين، لذلك نجد الآيات المتحدثة عن تشتت ولاء المنافقين قد بينت هشاشة يقينهم بالله وذلهم إلى الخلق، وتوهم النصرة من

---

(1) ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج11، ص244؛ سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج2، ص249.

(2) سورة المائدة: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ (55)﴾، وفي سورة التوبة: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ... (71)﴾، بينما قال في سياق الحديث عن المنافقين: في سورة النساء: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا (142)﴾.

الأعداء:﴿...أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء:139]، ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌۚ ...﴾ [المائدة:52].

المطلب الثاني: دعوة آيات الولاء والبراء إلى الإصلاح المجتمعي:

يقصد بهذا العنوان أن الولاء (مصطلح اجتماعي)، فإن صلاح الفرد ينعكس على المجتمع وذلك من خلال ترجمة هذا الولاء لتطبيقات عملية: الهجرة والجهاد والإيواء والنصرة، وغيرها من التطبيقات[1]، وبذلك تكون الآيات قد اهتمت ببيان تطبيقات عملية تساعد المؤمنين على بناء مجتمع قويًا متماسكًا يستطيع مواجهة الأعداء، وذلك من خلال بيان صفات يجب على المؤمنين الالتزام بها، فإنّ تحقق هذه الأخلاق دليل على تحقق الولاء بين المؤمنين، ويمكن إيجاز ذلك بذكر أهم الأخلاق المرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالولاء:

منها: الحفاظ على مجتمع قوي ومتماسك، ففي آيات آل عمران رسمت الآيات منهجا يجب على المؤمنين الالتزام: الاعتصام بحبل الله، تحقق صفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، النهي عن التفرق والاختلاف وإزالة كل الأسباب التي تؤدي إلى زوال الألفة بين المؤمنين، والدعوة إلى الاجتماع وتوحيد الصف[2]: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ... ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ

(1) ينظر: عرسان، **إخراج الأمة السلمة وعوامل صحتها ومرضها**، ص103.

(2) ينظر: أبو السعود، **ارشاد العقل السليم**، ج2، ص66.

وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٥﴾[1] [آل عمران]، ولعل آية المائدة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ .. ٥٤﴾، تلخص العلاقة التي يجب أن تكون بين المؤمنين من ذلة ومحبة ومودة ورأفة وتعاون، ونلحظ تحقق هذه الأخلاق في المجتمع المدني بين المهاجرين والأنصار، وهذا ما أكدت عليه آيات الأنفال والحشر، حيث الولاء الخالص المبني على رابطة العقيدة.

---

(1) ينظر: ابن عثيمين، **شرح رياض الصالحين**، ج1، ص562؛ **منهجيات الإصلاح والتغير في سورة المائدة**، اليازجي، رسالة ماجستير، ص27، 28.

الخاتمة

الحمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات، له الحمد في الأولى والآخرة، على ما يسر ووفق وهدى.

أما وقد وصلت إلى النهاية، فلا بد من القول إنه من خلال دراستي هذه لآيات الولاء والبراء في القرآن؛ من حيث تناسقها مع موضوعات السور التي وردت فيها ووحدتها الموضوعية وأسماء السور، ومن حيث سياقاتها، فقد توصلت إلى نتائج أحسبها مهمة، منها ما يكشف التناسق والتكامل في عرض الموضوع، وأخرى تبين اهتمام القرآن بموضوع الولاء والبراء، ثم أذكر بعد ذلك التوصيات:

1. أثبتت الدراسة التناسق والعلاقة القوية بين آيات الولاء والبراء والوحدة الموضوعية للسورة واسمها.
2. وضحت الدراسة مدى تناسق آيات الولاء والبراء مع السياق الذي جاءت فيه.
3. بينت الدراسة مدى التناسق بين آيات الولاء والبراء المتعددة في السورة الواحدة من جهة، وتناسقها مع موضوعات السورة الأخرى، وأن تعدد آيات الولاء والبراء في السورة –أحيانا– وتوزيعها في أكثر من موضع له علاقة قوية بالسياق، ويبين ذلك التناسق والترابط الذي يؤكد إعجاز القرآن في نظمه وحسن نسقه.
4. وضحت الدراسة التناسق العام لآيات الولاء والبراء في القرآن كله، لا سيما مع موضوعات ارتبطت بها بشكل قوي مثل العقيدة والأخلاق والتعامل مع فئات المجتمع، خاصة المنافقين وأهل الكتاب.
5. بينت الدراسة تناسق آيات الولاء والبراء مع السياق الذي جاءت فيه، ومع الوحدة الموضوعية للسورة التي جاءت فيها، ويظهر ذلك واضحا باختلاف الدلالة السياقية لمعنى الولاء في السور

المكية والمدنية، ففي السور المكية جاءت الدلالة السياقية للولاء بمعنى المعبود غالبا، وتارة بمعنى الشركاء والشياطين، بينما في السور المدنية بمعنى النصرة والتعاون والمودة والتآزر.

6. أثبتت الدراسة اجتماع لفظي (الولي والشفيع) في السور المكية، وفي ذلك تناسق مع مواضيع السور المكية التي تعالج قضية الألوهية والبعث والجزاء.

7. ركزت آيات الولاء والبراء على جانبين مهمين هما: إخلاص العبادة والطاعة لله سبحانه وتعالى، وذلك بعد بيان كمال صفات الله جل شأنه؛ أما الجانب الثاني فهو النهي عن ولاء الكافرين بعد تبصير المؤمنين بطبيعة المعركة معهم، وفي ذلك من التناسق بين آيات الولاء والبراء وبين السياق الذي جاءت فيه الآيات.

8. تكاملت آيات الولاء والبراء من ناحية تعدد صيغ النهي عن اتخاذ الكافرين أولياء؛ منها ما كان بصيغة النهي عن طاعتهم مطلقا، وعن اتخاذهم وليجة، وعن اتخاذهم بطانة، وعدم الركون إليهم، وعن إلقاء المودة معهم، وعن اتباع أهوائهم، وهذا دليل على اهتمام القرآن بهذا الموضوع الذي جمع بين الاعتقاد والمعاملة.

9. بينت الدراسة ارتباط آيات الولاء والبراء بموضوع النفاق، حيث تكاملت الآيات في بيان الأسباب التي أدت إلى ضعف الولاء عند المنافقين، حيث ضعف الإيمان، والركون إلى الدنيا وشهواتها، والخوف من المصائب والأعداء.

10. بينت الآيات هشاشة الولاء بين المنافقين واليهود المبني على المصالح.

11. وضحت الدراسة قوة الارتباط بين الولاء والجهاد في سبيل الله؛ فذكرت آيات الولاء نموذجًا مشرقًا في نصرة الإسلام والمسلمين كما هو موقف الصحابة رضوان الله عليهم، كما حدث في

بعض الغزوات مثل بدر والأحزاب وتبوك وبني النضير. وفي المقابل ذكرت الآيات عاقبة وجود خلل في الولاء والطاعة؛ حيث الهزيمة كما حدث في غزوة أحد.

12. ذكرت الآيات ملامح مشتركة لصفات حزب الله؛ وهم الذين جمعوا بين الرسوخ في الإيمان وطاعة الله ورسوله، وبين قوة العلاقات مع المؤمنين ووحدة الصف التي يحكمها الولاء والبراء.

التوصيات:

بعد دراستي لموضوع التناسق الموضوعي لآيات الولاء والبراء في القرآن، أوصي بالآتي:

1. دراسة موضوعات القرآن الأخرى من ناحية التناسق والتكامل، بما يضفي نظرة جديدة وشمولية على موضوعات القرآن للوصول إلى منهج واضح يمكن للمؤمنين السير عليه.
2. التركيز على الدراسات السياقية للسور فيما بينها، والآيات فيما بينها، وإبراز هذا الجانب في دراسات النظم القرآني، والتفسير البياني.
3. ربط مواضيع القرآن بشؤون الناس في التعاملات، والأخلاق.

قائمة المصادر والمراجع

الآلوسي: شهاب الدين محمود بن عبد الله، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تحقيق: علي عبد الباري عطية، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ).

الإيجي: محمد بن عبد الرحمن، **جامع البيان في تفسير القرآن**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2004م).

البخاري: محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، تحقيق: محمد زهير بن ناصر، (د.م: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي)، ط1، 1422هـ.

البغوي: محي السنة الحسين بن مسعود، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، تحقيق: عبد الرزاق مهدي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 1420هـ).

البقاعي: إبراهيم بن عمر، **مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور**، (الرياض: مكتبة المعارف، ط1، 1987م).

.....، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، د.ط، د.ت).

البيضاوي: عبد الله بن عمر، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، (بيروت: دار إحياء التراث، ط1، 1418هـ).

البيهقي: أبو بكر أحمد بن الحسين، **دلائل النبوة**، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، (د.م: دار الكتب العلمية، ط1، 1988م).

ابن تيميه: شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم **الإيمان الأوسط**، تحقيق: محمود أبو سن، (الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط1، 1422هـ).

.....، **مجموع الفتاوى**، تحقيق: عبد الرحمن بن قاسم، (المدينة النبوية: مجمع الملك فهد، د.ط، 1416هـ).

الثعلبي: أبو إسحاق أحمد بن محمد إبراهيم **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، تحقيق: محمد بن عاشور، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 2002م).

الجاوي: محمد بن عمر، **مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد**، تحقيق: محمد أمين الصّناوي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1417هـ)،

الجزائري: أبو بكر جابر بن موسى، **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**، (د.م: د.ن، ط3، 1990م).

الجصاص: أبو بكر أحمد بن علي الرازي، **أحكام القرآن**، تحقيق: عبد السلام شاهين، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1994م).

ابن جماعة: بدر الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم، **كشف المعاني في المتشابه من المثاني**، تحقيق: عبد الجواد خلف، (المنصورة: دار الوفاء، ط1، 1990م).

ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، **زاد المسير في علم التفسير**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط1422،1هـ).

الجوهري: أبو النصر إسماعيل بن حماد، **تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق، أحمد عبد الغفور، (بيروت: دار العلم للملايين، ط4، 1987م)، ج4، ص1558.

حبنكة: عبد الرحمن، **ظاهرة النفاق وخبائث المنافقين**، (دمشق: دار القلم، ط1، 1993م).

ابن حجر العسقلاني: أبو الفضل أحمد بن علي، **العجاب في بيان الأسباب**، تحقيق: عبد الحكيم محمد الأنيس، (د. م: دار ابن الجوزي، د.ط، د.ت).

حموش: مأمون، **التفسير المأمون على منهج التنزيل والصحيح المسنون**، تدقيق: أحمد راتب حموش، (د.م: د.ن، ط1، 2007م).

حوى: سعيد، **الأساس في التفسير**، (القاهرة: دار السلام، ط6، 1424هـ).

.....، **جند الله ثقافة وأخلاقًا**، (القاهرة: مكتبة وهبة، ط4، 1992م).

أبو حيان: محمد بن يوسف، **البحر المحيط في التفسير**، تحقيق: صدقي محمد، (بيروت: دار الفكر، ط1، 1420هـ).

الخازن، علاء الدين علي بن محمد، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، تصحيح: محمد شاهين، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ).

الخالدي: صلاح عبد الفتاح، **التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق**، (الأردن: دار النفائس، ط3، 2012م).

.....، **الشخصية اليهودية من خلال القرآن**، (دمشق: دار القلم، ط1، 1998م).

.....، **القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث**، (دمشق: دار القلم، ط1، 1998م)،

الخطيب: عبد الكريم يونس، **التفسير القرآني للقرآن**، (القاهرة: دار الفكر العربي، د.ط، د.ت).

دراز، محمد عبد الله، **النبأ العظيم**، (الكويت: دار القلم، د. ط، د.ت).

دروزة: محمد، **التفسير الحديث**، (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، د.ط، 1383هـ.

الرازي: محمد بن أبي بكر الحنفي، **أنموذج جليل**، تحقيق: عبد الرحمن إبراهيم، (الرياض: دار عالم الكتب، ط1، 1991م).

الرازي: محمد بن عمر، **مفاتيح الغيب**، (د. م: الفكر للطباعة، ط1، 1981م).

رشيد رضا: محمد، **تفسير القرآن الحكيم**، (مصر: دار المنار، ط3، 1367هـ).

الراغب الأصفهاني: الحسين بن محمد، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، (دمشق: دار القلم، ط1، 1416هـ).

.....، **تفسير الراغب الأصفهاني**، تحقيق: عادل بن الشدي، (الرياض، دار الوطن، د.ط،2003م).

.....، **تفسير الراغب الأصفهاني**، تحقيق: محمد عبد العزيز البسيوني، (كلية الآداب: جامعة طنطا، ط1، 2003م).

.....، **تفسير الراغب الأصفهاني**، تحقيق: هند محمد بن زاهد سردار، (كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، ط1، 2001م.

ابن رجب الحنبلي: عبد الرحمن بن أحمد، **روائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي**، (المملكة العربية السعودية: دار العاصمة، ط1، 2001م).

الزجاج: إبراهيم بن سري، **معاني القرآن وإعرابه**، تحقيق: عبد الجليل عبده، (بيروت: عالم الكتب، ط1، 1988م).

الزحيلي: وهبة، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، (دمشق: دار الفكر، ط2، 2003م).

.....، **التفسير الوسيط**، (دمشق: دار الفكر، ط1، 1422هـ).

الزرقاني: محمد عبد العظيم، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، (د.م: مطبعة عيسى البابي، ط3، د.ت).

الزركشي: أبو عبد الله بدر الدين، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (بيروت: دار المعرفة ، ط1، 1957م).

الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمرو، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، تحقيق: أبي عبد الله الداني بن منير، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط1، 2006م).

ابن أبي زمنين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله ، **تفسير القرآن العزيز**، تحقيق: حسين عكاشة، محمد مصطفى كنز، (القاهرة: الفاروق الحديثة، ط1، 2002م).

أبو زهرة، محمد بن أحمد، **زهرة التفاسير**، (د.م، دار الفكر العربي، د.ط، د.ت).

السعدي: عبد الرحمن بن ناصر، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تحقيق: عبد الرحمن معلا اللويحق، (د.م: مؤسسة الرسالة، ط1، 2000م).

.....، **القول السديد في شرح كتاب التوحيد**، (المملكة العربية السعودية: وزارة الشئون الإسلامية، ط1، 1421هـ).

أبو السعود: محمد بن محمد، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت).

سعيد: عبد الستار، **المدخل إلى التفسير الموضوعي**، (القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط2، 1991م).

ابن سلام: يحيى، **التصاريف لتفسير مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه**، تحقيق: هند شلبي، (د.م: الشركة التونسية للتوزيع، د.ط، 1979م).

السمرقندي: أبو الليث نصر بن محمد، **بحر العلوم**، تحقيق: علي محمد معوض؛ عادل أحمد، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1993م).

السمعاني: منصور بن محمد، **تفسير السمعاني**، تحقيق: ياسر إبراهيم؛ غنيم عباس، (السعودية: دار الوطن، ط1، 1997م).

الشربيني: شمس الدين محمد بن أحمد، **السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، (القاهرة: مطبعة بولاق، د.ط، 1285هـ).**

الشعراوي: محمد متولي، **تفسير الشعراوي**، (د.م، مطابع أخبار اليوم، د.ط، د.ت).

شلتوت: محمود، **تفسير القرآن الكريم الأجزاء العشرة الأولى**، (القاهرة: دار الشروق، ط12، 2004م).

الشوكاني: محمد بن علي، **فتح القدير**، (المملكة العربية السعودية: وزارة الشؤون الإسلامية، د.ط، 2010م).

الصابوني: محمد علي،**صفوة التفاسير**، (قطر: إدارة إحياء التراث الإسلامي، ط2، 1981م).

.....، **مختصر تفسير ابن كثير**، (بيروت: دار القرآن الكريم، ط7، 1981م).

الطبري: محمد بن جرير، **جامع البيان**، تحقيق: محمود شاكر، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 2000م).

الطنطاوي: محمد سيد، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، (القاهرة: دار النهضة، ط1، 1997م).

طهماز: عبد الحميد، **التفسير الموضوعي لسور القرآن العظيم**، (دمشق: دار القلم، ط2، 2014م).

ابن عاشور: محمد الطاهر، **التحرير والتنوير**، (تونس: الدار التونسية، د.ط، 1984م).

ابن عادل: أبو حفص سراج الدين عمر علي، **اللباب في علوم الكتاب**، تحقيق: عادل عبد الموجود، علي محمد معوض، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1998م).

عباس: فضل حسن، **البلاغة وفنونها وأفنانها**، (إربد: دار الفرقان، ط4، 1997م).

أبو عبيدة: معمر بن المثنى، **مجاز القرآن**، تحقيق: محمد فؤاد سزكين، (القاهرة: مكتبة الخانجي، د.ط، 1381هـ).

ابن عثيمين: محمد بن صالح، **شرح رياض الصالحين**، تحقيق: عبد الرحمن الهاشمي، (القاهرة: مؤسسة المختار، 2005م).

ابن عجيبة: أبو العباس أحمد بن محمد ، **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي،(القاهرة: حسن عباس زكي، د.ط، 1419هـ).

ابن العربي: محمد بن عبد الله، **أحكام القرآن**، تخريج: محمد عبد القادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط3، 2003م).

عرفات: عمر علي، **دلالة أسماء السور القرآنية على محاورها وموضوعاتها**، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 2018م).

ابن عطية، عبد الحق بن غالب، **المحرر الوجيز**، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، (بيروت: دار الكتب، ط1، 1422هـ).

العليمي: مجير الدين بن محمد الحنبلي، **فتح الحمن في تفسير القرآن**، تحقيق: نور الدين طالب، (د.م: دار الوطن،ط1، 2009م).

الغرناطي: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي، **البرهان في تناسب سور القرآن**، تحقيق: سعيد بن جمعة، (الرياض: دار ابن الجوزي، ط1، 1428هـ).

.....، **ملاك التأويل بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل**، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت).

الغزالي: محمد بن محمد، **نحو تفسير موضوعي لسور القرآن**، (القاهرة: دار الشروق، ط1، 1995م).

ابن فارس :أبو الحسن أحمد القزويني، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق :عبد السلام هارون)د.م : دار الفكر، د.ط، 1979م(،

الفراهي: عبد الحميد، **دلائل النظام** (د.م: المطبعة الحميدية، ط1، 1388هـ).

الفراهيدي: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد، **العين**، تحقيق، مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، (د.م: دار ومكتبة الهلال، د.ط، د.ت).

.....، **مفردات القرآن نظرات جديدة في تفسير ألفاظ القرآن**، تحقيق: محمد الإصلاحي، (بيروت: دار الغرب، ط1، 2002م).

القاسمي: محمد جمال الدين، **محاسن التأويل**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث، ط1، 1994م).

.....، **الحلال والحرام في الإسلام**، (القاهرة: مكتبة وهبة، ط1، 2012م).

.....، **غير المسلمين في المجتمع الإسلامي**، (القاهرة: مكتبة وهبة، ط3، 1992م).

.....، **فقه الجهاد**، (القاهرة: مكتبة وهبة، ط3، د.ت).

القرطبي: محمد بن أحمد، **الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام**، تحقيق: أحمد حجازي السقا، (القاهرة: دار التراث العربي، د.ط، د.ت).

.....، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: أحمد البردوني؛ إبراهيم أطفيش، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ط2، 1964م).

القشيري: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، **لطائف الإشارات**، تحقيق: إبراهيم بسيوني، (مصر: الهيئة المصرية العامة، ط3، د.ت).

قطب: سيد، **في ظلال القرآن**، (إسطنبول: دار الأصول العلمية، ط1، 2019م).

القنوجي: محمد صديق خان، **البيان في مقاصد القرآن**، تدقيق: عبد الله إبراهيم الأنصاري، (بيروت: المكتبة العصرية، د.ط، 1992م).

القيسي: مكي بن أبي طالب، **الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره**، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي، إشراف الشاهد البوشيخي، (جامعة الشارقة: كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ط1، 2008م).

ابن كثير: إسماعيل بن عمر، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي سلامة، (د.م: دار طيبة، ط2، 1999م).

الكرماني: محمد بن عز الدين عبد اللطيف، **شرح مصابيح السنة للإمام البغوي**، تحقيق: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب، (د.م: إدارة الثقافة الإسلامية، ط1، 2012م).

الكيلاني: إبراهيم زيد، **خصائص الأمة الإسلامية الحضارية كما تبينها سورة المائدة**، (عمان: المكتبة الوطنية، ط1، 2004م).

الكيلاني: ماجد عرسان، **إخراج الأمة المسلمة وعوامل صحتها ومرضها**، (قطر: رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الإسلامية، ط1، 1412هـ)، ص103.

الماتريدي: محمد بن محمود، **تأويلات أهل السنة، تحقيق: مجدي باسلوم**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2005م).

الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد، **النكت والعيون**، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود عبد الرحيم، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت).

ابن المبرد: يوسف بن حسن، **صب الخمول على من وصل أذاه الصالحين**، تحقيق: نور الدين طالب، (سوريا: دار النوادر، ط1، 2011م).

المراغي: أحمد بن مصطفى، **تفسير المراغي**، (القاهرة: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي، ط1، 1946م).

مسلم: أبو الحسن بن الحجاج النيسابوري، **صحيح مسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت).

ابن منظور: جمال الدين محمد بن مكرم، ، **لسان العرب**، (بيروت: دار الصادر، ط3، 1414هـ).

نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن بإشراف مصطفى مسلم، **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**،(الشارقة– كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، ط1، 2010م).

النخجواني، نعمة الله بن محمود، **الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية**، (مصر: دار ركابي للنشر، ط1، 1999م).

النسفي: عبد الله بن أحمد، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، تحقيق: يوسف علي بديوي، (بيروت: دار الكلم الطيب، ط1998،1م).

النيسابوري: الحسن بن محمد، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، تحقيق: زكريا عميرات، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1416هـ).

ابن هشام: عبد الملك، **سيرة ابن هشام**، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط3، 1990م).

الهرري: محمد الأمين بن عبد الله الشافعي، **حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن**، مراجعة: هاشم مهدي، (بيروت: دار طوق النجاة، ط1، 2001م).

الواحدي: علي بن أحمد، **أسباب النزول**، تحقيق: كمال بسيوني زغلول، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1411هـ).

.....، **تفسير البسيط**، تحقيق: محمد فوزان، أشرف على طباعته وإخراجه عبد العزيز آل سعود، تركي العتيبي، (المملكة العربية السعودية: مكتبة الملك فهد الوطنية، ط1، 1430م).

.....، **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: صفوان عدنان الداوودي، (دمشق: دار القلم، ط1، 1451هـ).

المقالات والرسائل العلمية:

أحمد نصير، نصرة، **منهجيات الإصلاح والتغير في سورة المائدة**، رسالة ماجستير، كلية أصول الدين، (فلسطين: الجامعة الإسلامية، 2015م).

الأنصاري، فريد بن الحسن، "**مفهوم الولاء والبراء في الإسلام**"، (المغرب: المجلس الأعلى العلمي، 2007م).

بازامول: محمد بن عمر بن سالم، " **التناسق الموضوعي في السورة القرآنية**"، الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه، م46، 2017م.

الحمداوي، رشيد، " **وحدة النسق في السورة القرآنية: فوائدها وطرق دراستها**"، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، م 2، ع3، جمادي الآخرة 2007م.

عباس: فضل حسن،" **المفردات القرآنية مظهر من مظاهر الإعجاز**"، الناشر: الجامعة الأردنية، م 11، ع 4، 1984م.